Surah Yusuf 12

Tafsir Kashaf wal Bayaan

Abu Isahaq Ahmad Ath-Tha'alabi

(AH 427)

تفسير سورة يوسف
تفسير الكشف والبيان
ابو اسحاق احمد الثعلبي

(ت 427 هـ)

محمد عمر چند

الـر تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ * 1
إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ *2
نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلْغَافِلِينَ *3
إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يٰأَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ *4
قَالَ يٰبُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * 5
وَكَذٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَآ عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ 6

الـر تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ الْمُبِينِ يعني البيّن حلاله وحرامه وحدوده وأحكامه وهداه وبركته، قال معاذ بن جبل: بيّن فيه الحروف التي سقطت من ألسن الأعاجم وهي ستة أحرف.
إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ يعني الكتاب قُرْآناً عَرَبِيّاً بلغتكم يا معشر العرب لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ لكي تعلموا معانيه وتقيموا ما فيه
نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أي نقرأ، وأصل القصص تتبع الشيء، ومنه قوله تعالى **وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ** [القصص: 11] فالقاص يتتبع الآثار ويخبر بها.
أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ يعني قصة يوسف بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ و ما المصدر أي بإيحائنا إليك هذا القرآن وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ من قبل وحينا لَمِنَ ٱلْغَافِلِينَ

قال سعد بن أبي وقاص: أُنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زماناً، وكأنهم ملّوا فقالوا: لو قصصت علينا، فأنزل الله تعالى نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ الآية، فقالوا: يا رسول الله لو ذكرتنا وحدثتنا فأنزل الله تعالى **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُواْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ** [الحديد: 16]الآية، فقال الله تعالى على هذه الآية: أحسن القصص. واختلف الحكماء فيها **لم سميت أحسن القصص من بين الأقاصيص**؟

- فقيل: سماها أحسن القصص لأنه ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم والنكت ما تتضمن هذه القصة،
- وقيل: سمّاها أحسن لامتداد الأوقات فيما بين مبتداها إلى منتهاها،
- وقيل: سماها أحسن القصص لحسن مجاورة يوسف إخوته، وصبره على أذاهم،وإغضائه عند الإلتقاء بهم عن ذكر ما تعاطوه، وكرمه في العفو عنهم
- وقيل: لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والأنس والجن والأنعام والطير، وسير الملوك والمماليك، والتجار والعلماء والجهال، والرجال والنساء،وحيلهن ومكرهن، وفيها أيضاً ذكر التوحيد والعفة والسير وتعبير الرؤيا السياسة وتدبير المعاش، وجعلت أحسن القصص لما فيها من المعاني الجزيلة والفوائد الجليلة التي تصلح للدين والدنيا،
- وقيل: لأن فيها ذكر الحبيب المحبوب.
- وقيل: أحسن القصص هاهنا بمعنى أعجب.

قال ابن عباس: كان بين رؤيا يوسف ومصير أبيه وأخوته إليه أربعون سنة، وعليه أكثر المفسرين، وقال الحسن البصري: كان بينهما ثمانون سنة.
يٰأبتِ قرأ أبو جعفر وابن عامر بفتح التاء في جميع القرآن على تقدير يا أبتاه، وقرأ الباقون بالكسر، لأنه أصله يا أبه على هاء الوقف والجر.
إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً نصب الكوكب على التميز، وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ولم يقل: رأيتها لي ساجدة، والهاء والميم والياء والنون من كنايات ما يعقل؛ لأن السجود فعل ما يعقل فعبّر عنها بكنايتها كقوله **يٰأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَاكِنَكُمْ** [النمل: 18] الآية.
روى السدّي عن عبد الرحمن بن [ساريا]، عن جابر، قال:
" سأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ من اليهود يقال له بستان، فقال: يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها، فسكت؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: هل أنت مؤمن إن أخبرتُ بأسمائها؟ " قال: نعم، فقال: " حرثان والطارق والذيال وذو النقاب وقابس ووثاب وعمودان والمصبح والفليق والضروح وذو الفرغ، رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء فسجدن له فقال اليهودي: إي والله إنها لأسماؤها ".
قال ابن عباس: الشمس والقمر أبواه والكواكب إخوته الأحد عشر.
وقال قتادة: الشمس أبوه والقمر خالته، وذلك أن أمه راحيل كانت قد ماتت، (خالته ليا او بهله)

قال وهب: وكان يوسف رأى وهوابن سبع سنين، أن احدى عشرة عصاً طوالا كانت مركوزة في الأرض كهيئة الـدائرة وإذا عصا صغيرة ثبتت عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصـف ذلك لأبيه، فقال لـه: إيـاك أن تـذكر هـذا لإخوتـك، ثم رأى وهو ابن اثني عشرة سنة أنّ أحـد عشـر كوكبـاً والشـمس والقمر سجدن له فقصّـها على أبيـه فقـال لـه: لاَ تَقْصُـصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَـكَ كَيْـداً فيبغـوا لـك الغوايـل ويحتالوا في إهلاكك، لأنهم يعلمون تأويلهـا فيحسـدونك إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ.

واختلف النحاة في وجه دخول اللام في قوله لك،

فقال بعضهم: معناه فيكيدوك واللام صلة، كقولـه **لِـرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ** [الأعراف: 154]

وقـال آخـرون: هـو مثـل قـولهم: نصـحتك ونصـحت لـك، وشكرتك وشكرت لـك، وحمـدتك وحمـدت لـك، وقصـدتك وقصدت لك.

وَكَذٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ كقوله: [يصطفيك ويختارك] ليوسف وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَـادِيثِ تعبـير الرؤيـا وسـمي تـأويلا لأنه يؤوّل أمره إلى ما رأى في منامه

وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَـآ أَتَمَّهَـآ عَلَىٰ أَبَوَيْـكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ بالخلة وإنجائه من النار قال عكرمة: بـأن نجّاه من الذبح وفداه بذبح عظيم. وقـال البـاقون: بـإخراج يعقوب، والأسباط من صلبه.

إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ولهـذا قيـل: العـرق نـزّاع والأصـل لا يخطئ، فلمّا بلغت هذه الرؤيا إخوة يوسف حسـدوه، قـال ابن زيد: كانوا أنبياء، وقالوا: ما رضي أن يسجد لـه إخوتـه حتى يسجد له أبواه، فبغوه بالعداوة.

إِذْ قَالَ يُوسُفُ قراءة العامة يوسف بضم السين،

وقرأ طلحة بن مصرف بكسر السين، واختلفوا فيه فقال أكثرهم: هو اسم عبريّ فلذلك لا يجري،
وقال بعضهم: هو اسم عربي.
سمعت أبا القاسم الحبيبي، قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا الحسن الأقطع، وكان حكيماً، وسئل عن يوسف، فقال: الأسف: الحزن، والأسيف: العبد واجتمعا في يوسف فلذلك سمي يوسف.
لأبِيهِ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهم السلام).
روى أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" إن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهم السلام) ".**

يٰأَبتِ قرأ أبو جعفر وابن عامر بفتح التاء في جميع القرآن على تقدير يا أبتاه، وقرأ الباقون بالكسر، لأنه أصله يا أبه على هاء الوقف والجر.

إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً نصب الكوكب على التمييز، وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ولم يقل: رأيتها لي ساجدة، والهاء والميم والياء والنون من كنايات ما يعقل؛ لأن السجود فعل ما يعقل فعبّر عنها بكنايتها كقوله **يٰأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَاكِنَكُمْ** [النمل: 18] الآية.

روى السدّي عن عبد الرحمن بن [ساريا]، عن جابر، قال: **" سأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ من اليهود يقال له بستان، فقال: يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها، فسكت رسول الله صلى الله عليه**

وسلم وقال: هل أنت مؤمن إن أخبرتُ بأسمائها؟ " قال: نعم، فقال: " حرثان والطارق والذيال وذو النقاب وقابس ووثاب وعمودان والمصبح والفليق والضروح وذو الفرغ، رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء فسجدن له فقال اليهودي: إي والله إنها لأسماؤها ".

قال ابن عباس: الشمس والقمر أبواه والكواكب إخوته الأحد عشر. وقال قتادة: الشمس أبوه والقمر خالته، وذلك أن أمه راحيل كانت قد ماتت، قال وهب: وكان يوسف رأى وهوابن سبع سنين، أن احدى عشرة عصاً طوالا كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدائرة وإذا عصا صغيرة ثبتت عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه، فقال له: إياك أن تذكر هذا لإخوتك، ثم رأى وهو ابن اثني عشرة سنة أنّ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر سجدن له فقصّها على أبيه فقال له: لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً فيبغوا لك الغوايل ويحتالوا في إهلاكك، لأنهم يعلمون تأويلها فيحسدونك إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ .

واختلف النحاة في وجه دخول اللام في قوله لك، فقال بعضهم: معناه فيكيدوك واللام صلة، كقوله **لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ** [الأعراف: 154] وقال آخرون: هو مثل قولهم: نصحتك ونصحت لك، وشكرتك وشكرت لك، وحمدتك وحمدت لك، وقصدتك وقصدت لك.

وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ كقوله: [يصطفيك ويختارك] ليوسف
وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلأَحَادِيثِ تعبير الرؤيا وسمي تأويلا
لأنه يؤوّل أمره إلى ما رأى في منامه وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ
وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَآ عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ
بالخلة وإنجائه من النار قال عكرمة: بأن نجّاه من الذبح
وفداه بذبح عظيم. وقال الباقون: بإخراج يعقوب،
والأسباط من صلبه.

إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ولهذا قيل: العرق نزّاع والأصل لا
يخطئ، فلمّا بلغت هذه الرؤيا إخوة يوسف حسدوه، قال
ابن زيد: كانوا أنبياء، وقالوا: ما رضي أن يسجد له إخوته
حتى يسجد له أبواه، فبغوه بالعداوة.

لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ 7
*** إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ 8**
*** ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ 9**
*** قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ 10**
*** قَالُواْ يٰأَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ 11**
*** أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ 12**
*** قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيۤ أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ 13**

* **قَـالُواْ لَئِنْ أَكَلَـهُ ٱلـذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْـبَةٌ إِنَّآ إِذاً لَّخَاسِرُونَ 14**
* **فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُوۤاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَـٰـذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ 15**
* **وَجَآءُوۤا أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ 16**
* **قَالُواْ يٰأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُـؤْمِنٍ لَّنَـا وَلَـوْ كُنَّا صَادِقِينَ 17**
* **وَجَآءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيـلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْـتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ 18**

يقول الله تعالى: لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ أي في خبره وخبر إخوته وَإِخْوَتِهِ وأسماؤهم روبيل وهو أكـبرهم، وشـمعون، ولاوي،ويهودا، وزيالون، وأمنجر، وأمهم ليـا بنت ايـان وهي ابنة خال يعقوب، وولد له من سريّتين له اسم احداهما زاد الأُخـرى ملـده (زلفـه و بلهه)، أربعـة نفـر، دان ونفتـالي وجاد وآشر، ثم تـوفيت ليـا فـتزوج يعقـوب أختهـا راحيـل، فولدت له يوسف وبنيامين، وكان بنـو يعقـوب اثـني عشـر رجلا.

آيَاتٌ قرأ أهل مكة آية على الواحد، أي عظة وعبرة، وقيل: عجب، يقال: فلان آية في الحسن والعلم أي عجب، وقرأ الباقون: آيات على الجمع لِّلسَّائِلِينَ وذلك أن اليهود سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسـف فأخبرهم بها كما في التوراة فعجبوا منه.
وقالوا: من أين لك هذا يا محمد؟
قال: «علّمنيه ربي»

وقيـل: معنـاه للسـائلين ولمن لم يسـأل، كقولـه: سَـوَآءً لِّلسَّـــــــــــــــــــــــــــــــــــــآئِلِينَ .
إِذْ قَالُواْ لَيُوسُـفُ اللام فيـه جـواب القسـم تقـديره: تاللـه ليوسف وأخوه بنيامين أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَـا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْـبَةٌ أي جماعة والعصـبة مـا بين الواحـد إلى العشـرة، وقيـل: إلى الخمسـة عشـر، وقيـل: مـا بين العشـرة إلى الأربعين ولا واحد لها من لفظهـا كـالنفر والرهـط إِنَّ أَبَانَـا لَفِي ضَـلاَلٍ مُّبِينٍ خطأ بيّن في إيثاره يوسف وأخاه علينا.
قْتُلُواْ يُوسُفَ اختلفوا في تأويل هذا القول، فقال وهب: قاله شمعون، كعب: دان، مقاتل: روبيل أَوِ طْرَحُوهُ أَرْضاً أي في أرض يَخْلُ لَكُمْ يخلص ويصفو لكم.
وَجْهُ أَبِيكُمْ عن شغله بيوسف فإنه قد شغله عنّا وصــرف وجهه إليه عنّا وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ من بعد قتل يوسف قَوْماً صَالِحِينَ تـائبين، وقـال مقاتـل: يصـلح أمـركم فيمـا بينكم وبين أبيكم.
قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ وهو روبيل (او روبين)، وقـال السـدي: هـو يهودا، وهو أعظمهم وكان ابن خالة يوسف، وكان أحسنهم فيدايا نهـاهم عن قتلـه وقـال لهم: لاَ تَقْتُلُـواْ يُوسُـفَ فـإن قتله عظيم.
وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ لْجُبِّ أي في قعر الجب وظلمتـه حيث يغيب خبره، قتادة: في أسـفله، والغيابـة: كـل شـيء غَيَّبَ شـيئاً، وأصـلها من الغيبوبـة، وقـرأ أهـل المدينـة: غيابـات الجب، على الجمع، والباقون: غيابة، على الواحـد، والجبّ: البئر غير المطويّـة، قتـادة: هـو بـئر بيت المقـدس، وقـال وهب: هو بأرض الأردن، كعب: بين مـدين ومصـر، مقاتـل: على ثلاث فراســــــخ من مــــــــنزل يعقـــــــوب.
يَلْتَقِطْهُ بعض السـيارة يأخـذه، قـراءة العامـة باليـاء لأنـه البعض وقرأ الحسن: تلتقطه بالتاء لأجل السيارة، والعرب

تفعل ذلك في كل خبرٍ كان عن مضاف إلى مؤنث يكون الخبر عن بعضه خبراً عن جميعه، كقول الشاعر:

أرى مرّ السنين أخذن مني كما أخذ السرار من الهلال

ولم يقل أخذت وقال الآخر:

إذا مات منهم سيد قام سيد فدانت له أهل القرى والكنائس

بَعْضُ السَّيَّارَةِ بعض مارّي الطريق من المسافرين فيذهب به إلى ناحية أخرى فينستر خبره إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ما أقول لكم.

قيل للحسن: أيحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك بني يعقوب؟ لهذا قيل: الأب جلاب، والأخ سلاب، فعند ذلك أجمعوا على التفريق بينه وبين والده بضرب من الاحتيال، فقالوا ليعقوب قَالُواْ يَٰأَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا قرأ أبو جعفر بالنون، وقرأ الباقون بإشمام النون للضمّة، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، لأن أصله تأمننا بنونين فأدغمت أحدهما في الأخرى.

لَهُ لَنَاصِحُونَ نحوطه ونحفظه حتى نردّه إليك، مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير وذلك أن أخوة يوسف قالوا لأبيهم أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ قال أبوهم: إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ فحينئذ قالوا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً إلى الصحراء يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ.

وقرأ أبو عمرو بالنون فيهما وكذلك ابن عامر قال، هارون: فقلت لأبي عمرو: كيف تقرأ نرتع ونلعب وهم أنبياء؟ قال: لم يكونوا يومئذ أنبياء، وقرأ أهل الكوفة كلاهما بالياء أي ننعم ونأكل وننشط ونلهو، يقال: رتع فلان في ماله إذا أنعم وأنفقه في شهواته. قال القطامي:

أكفراً بعد ردّ الموت عنّي   وبعد عطائك المائة الرتاعا

وقال ابن زيد: معناه يرعى غنمه، وينظر ويعقل فيعرف ما يعرف الرجل.

وقرأ يعقوب (نرتع) بالنون وَيَلْعَبْ بالياء ردّاً للعب إلى يوسف والرتوع إلى إخوته، وقرأ أهل الحجاز نرتع بكسر العين من الارتعاء، أي نتحارس ويحفظ بعضنا بعضاً وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ .

قَالَ لهم يعقوب إِنِّي لَيَحْزُنُنِيۤ أَن تَذْهَبُواْ بِهِ أي ذهابكم وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ لا تشعرون، وذلك أن يعقوب رأى في منامه أن الذئب قد شدّ على يوسف وكان يحذره، ومن ثم قال هذا فلقّنهم العلة وكانوا لا يدرون فقالوا: لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ عشرة رجال إِنَّآ إِذَاً لَّخَاسِرُونَ ضعفة عجزة مغبونون.

فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ في الكلام إضمار واختصار تقديره فأرسله معهم فلمّا ذهبوا به وَأَجْمَعُوۤاْ وعزموا على أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ هذه الواو مقحمة زائدة تقديره أوحينا، كقوله تعالى

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ [الصافات: 103ـ104] أي ناديناه

وقال امرؤ القيس:

فلما أجزنا ساحة ... بنا بطن خبت ذي

الحيّ وانتحى قفاف عقنقل

أراد انتحى.

لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ يعني أوحينا إلى يوسف، [سوف تتحقق] رؤياك، ولتخبرنّ إخوتك بصنيعهم هذا وما فعلوه بك، وهم لا يشعرون بوحي الله إليه وإعلامه إياه ذلك، وهذا معنى قول مجاهد، وقيل: معناه وهم لا يشعرون أنك يوسف.

قال ابن عباس: لما دخل إخوة يوسف على يوسف فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطنَّ وقال: أنه ليخبرني هذا الجام إنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف، يدنيه دونكم، وإنكم انطلقتم به فألقيتموه في غيابة الجب ثم جئتم أباكم فقلتم: إن الذئب أكله وبعتموه بثمن خس، فذلك قوله لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ .

قال السدّي: أرسل يعقوب يوسف معهم فأخرجوه وبه عليهم من الكرامة، فلمّا برزوا إلى البرية أظهروا له العداوة وجعل أخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه، فجعل لا يجد منهم رحمة، فضربوه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويقول: يا أبتاه يا يعقوب، لو تعلم ما يصنع بابنك هؤلاء الأبناء.

فلمّا كادوا ليقتلوه قال يهودا: أليس سألنا أبانا موثقاً ألاّ تقتلوه؟ فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوه فجعلوا يدلونه

في البئر، فتعلق بشفير البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصــه فقال: يا إخوتاه، ردّوا عليّ القميص أتـوارى بـه في الجب، فقالوا: ادع الشمس والقمر والأحد عشـر كوكبـاً تؤنسـك، قـــــــــال: إنّي لم أرَ شـــــــــــــــيئاً. فدلوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يمــوت، وكان في البئر مـاء فسـقط فيـه ثم أوى إلى صـخرة فيـه فقام عليها، فلمّا ألقوه في الجب جعل يبكي فنـادوه فظن أنّها رحمة أدركتهم، فأجابهم فـأرادوا أن يرضـخوه بصـخرة فيقتلوه فقام يهودا فمنعهم وقال: قد أعطيتموني موثقاً ألاّ تقتلوه، وكان يهودا يأتيه بالطعـام. ويقـال: إن اللـه تعـالى أمر صخرة حتى ارتفعت من أسـفل البـئر فوقـف يوسـف عليها وهو عريان، وكان إبـراهيم الخليـل صـلى اللـه عليـه وسلم حين أُلقي في النار جرّد من ثيابـه وقـذف في النـار عرياناً فأتاه جبريل (عليه السلام) بقميص من حرير الجنــة فألبسه إياه وكان ذلك [القميص] عند إبراهيم، فلمّـا مـات ورثه إسحاق، فلمّا مات إسحاق ورثه يعقـوب، فلمّـا شـب يوسف جعل يعقـوب ذلـك القميص في تعويـذ وعلّقـه في عنقـه، فكـان لا يفارقــه، فلمّـا أُلقي في البـئر عريانـاً جـاء جبرئيل وكان عليه ذلك التعويذ أخرج القميص منه وألبســه إياه، قال ابن عباس: ثم ذبحـوا سـخلة وجعلـوا دمهـا على قميص يوسف.

وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ليكونوا أجرأ في الظلمة على الاعتـذار وتـرويج مـا مكـروا، وقـد قيـل: لا تطلب الحاجـة بالليــل وإن الحيــاء في العيــنين، ولا يعتــذر من ذنب في

النهار فيتلجلج في الاعتـذار فلا يقـدر على إتمامـه، وقيـل: أخّــروا المجيء إلى وقت العشــاء الآخــرة ليدلّســوا على أبيهم
قال السدّي: فلمّا سـمع أصـواتهم فـزع وقـال: مـا لكم يـا بنيّ؟ وهل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا، قـال: فمـا أصـــــــــــــــــــــــابكم؟ وأين يوســــــــــــــــــــــف؟
قَالُواْ يٰأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ أي نـترامى، دليلـه قـول عبـد الله: ننتضل، السدّي وابن حيان: نشتد وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَآ أنتَ بِمُؤْمِنٍ مصـدّق لَّنَـا وَلَـوْ كُنَّا صَادِقِينَ لسوء ظنّك بنا وتهمتك لنـا، وهـذا قميصـه ملطخ بالدم فذلك قوله وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِـدَمٍ كَـذِبٍ أي بـدم كذب، وقيل: بدم ذي كـذب لأنـه لم يكن دم يوسـف وإنمـا كان دم شاة، وهذا كما يقال: الليلـة الهلال، وقيـل: معنـاه بدم مكذوب فيه، فوضع المصدر موضع الاسم، كما يقـال: ماله عقل ولا معقول.

وقرأت عائشة: بدم كدب بالدال غير المعجمة، أي طــري، فبكى يعقــوب عنــد ذلــك، وقــال لبنيــه: أروني قميصــه فأروه،فقال: يالله ما رأيت كاليوم ذئباً أحلم من هذا، أكــل ابني ولم يخرق عليه قميصه، فحينئذ قَالَ بَـلْ سَـوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ رتبت أَمْراً فَصَبْرٌ أي فمنّي أو فعليَّ صبر، وقيل: فصبري صبرٌ جَمِيلٌ وقرأ الأشهب والعقيلي: فصـبراً على المصدر أي فلأصبرنّ صبراً جميلا، وهو الصبر الذي لا جزع ولا شكوى فيه.

وقيل: معناه لا أعاشركم على كآبة الوجه وحبوس الحنين، بل أكون في المعاشرة معكم جميلا كما كنت.

وروى عبد الرزاق عن الثوري عن حبيب بن ثابت أن يعقوب النبي (عليه السلام) كان قد سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما بخرقة فقيل له: ما هذا؟ قال: طول الزمان وكثرة الأحزان فأوحى الله إليه: يا يعقوب أتشكوني؟ قال: يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي.

وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ من الكذب، قالوا: وكان يوسف حين أُلقي في الجب ابن ثماني عشرة سنة، وقيل: سبع عشرة سنة، وقيل: كان ابن عشر، ومكث فيه ثلاثة أيام.

19 الي 22

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ 19

*** وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّاهِدِينَ 20**

*** وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ ٱلأَحَادِيثِ**

وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ 21

*** وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ 22**

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ أي رفقة مارة من قبل مدين يريدون مصر، فأخطأوا الطريق فانطلقوا يمشون على غير الطريق حتى نزلوا قريباً من الجب، وكان الجب في قفرة بعيداً من العمران، إنما هو للرعاة والمجتازة، وكان ماؤه مالحاً فعذب حين أُلقي فيه يوسف، فلما نزلوا أرسلوا رجلا من أهل مدين يقال له مالك بن ذعر ليطلب لهم الماء فذلك قوله فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ الوارد: الذي يتقدم الرفقة إلى الماء فيُهيّئ الأرشية والدلاء، فوصل إلى البئر فَأَدْلَىٰ فيها دَلْوَهُ أي أرسلها يقال: أدليت الدلو في الماء إذا أرسلتها فيها، ودلَوتها دلواً إذا أخرجتها منها، فتعلّق يوسف (عليه السلام) بالحبل، فلمّا خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون من الغلمان.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: **" أُعطي يوسف شطر الحسن والنصف الآخر لسائر الناس "** ،

قال كعب الأحبار: كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر، ضخم العينين، مستوي الخلق، أبيض اللون، غليظ الساقين والساعدين والعضدين، خميص البطن، صغير السرة، وكان إذا ابتسم رأيت النور في ضواحكه، وإذا تكلم رأيت

في كلامه شعاع النـور، ينبهـر بين ثنايـاه ولا يسـتطيع أحـد وصفه، وكان حسنه كضوء النهار عنـد الليـل، وكـان يشـبه آدم (عليه السلام) يـوم خلقـه اللـه وصـوره ونفخ فيـه من روحه قبل أن يصيب المعصية،

ويقال: إنه ورث ذلك الجمال من جدّتـه سـارة وكـانت قـد أُعطيت سـدس الحسـن.
فلمّا رآه مالك بن ذعر قَالَ يٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلاَمٌ

واختلفت القراء في قولـه: يـا بشـري، فقـرأ أهـل الكوفـة بسكون الياء،

وقالوا: نادى مالك في رجلا من أصحابه، اسمه بشري،

فقال: يا بشر، كما يقول: يا زيد، وهذا في محل رفـع على النداء المفرد، وهذا قول السدّي.

وقرأ الباقون: يا بشـرايَ بـالألف وفتح اليـاء على الإضـافة وقالوا: بشّر المستقي أصحابه بأنه أصاب عبداً.

وَأَسَرُّوهُ واخفوه بِضَاعَةً نصب على الحال، قـال مالـك بن ذعـر أصـحابه من التجـار الـذين معـه وقـالوا لهم: هـو بضاعة استبضـعناها بعض أهـل المـاء إلى مصـر خيفـة أن يطلبوا منهم فيه الشركة إنْ علمـوا بثمنـه، عطيـة عن ابن عباس: يعني بذلك إخوة يوسف، أسـرّوا شـأن يوسـف أن يكون أخاهم وقالوا: هو عبد لنا أبق منّا.

قـال اللـه تعـالى وَللَّهُ عَلِيمٌ بِمَـا يَعْمَلُـونَ فـأتى يهـودا يوسف بالطعـام فلم يجـده في البـئر فـأخبر أخوتـه بـذلك فطلبوه، فإذا هم مالك وأصـحابه نـزول، فـأتوهم فـإذا هم بيوسف فقالوا: هذا عبد أبق منّا،

وقال وهب: كان يهودا [مستنداً] من بعيـد ينظـر مـا يطـرأ على يوسف، فلمّا أخرجوه رآه فأخبر الآخرين، فأتوا مالكاً وقـالوا: هـذا عبـدنا، وكتم يوسـف شـأنه مخافـة أن يقتلـه إخوته، فقال مالك: أنـا اشـتريه منكم، فبـاعوه منـه فـذلك قوله تعالى وَشَرَوْهُ أي بـاعوه، قـال ابن مفـرغ الحمـيري:
وشريتُ بُرداً ليتني من بعد بُرد كنتُ هامه

أي بعت برداً وهو غلامه.

بِثَمَنٍ بَخْسٍ ناقص وهو مصدر وضع موضع الاسم،

قال قتادة: ظلم،

الضحاك ومقاتل والسدي: حرام، لأن ثمن الحر حرام،

عكرمة والشعبي: قليل،

ابن حيان: زيف دَرَاهِمَ بدل من الثمن

مَعْدُودَةٍ وذكر العدد عبارة عن القلـة، أي بـاعوه بـدراهم معدودة قليلة غير موزونة، ناقصة غير وافية،

وقال قوم: إنما قال معدودة لأنهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقل من أربعين درهماً، إنما كان يعدونها عدّاً، فإذا بلغ أوقية وزنوه، لأن أقل أوزانهم وأصغرها يومئذ كان أوقية، والأوقية أربعون درهماً. واختلف العلماء في مبلغ عدد الدراهم التي باعوه بها، فقال ابن سعود وابن عباس وابن قتادة والسدّي: عشرون درهماً، فاقتسموها درهمين درهمين، مجاهد: اثنان وعشرون درهماً، عكرمة: أربعون درهماً. وَكَانُواْ يعني أخوة يوسف فِيهِ في يوسف مِنَ الزَّاهِدِينَ لم يعلموا كرامته على الله ولا منزلته عنده.

ثم انطلق مالك بن ذعر وأصحابه بيوسف وتبعهم إخوته يقولون لهم: استوثقوا منه لا يأبق، فذهبوا حتى قدموا به مصر، فاشتراه قطفير، قاله ابن عباس، وقيل: اطفير بن روجيت وهو العزيز وكان على خزائن مصر. وكان الملك يومئذ بمصر ونواحيها الريان بن الوليد بن ثروان بن ارامة بن فاون بن عمرو ابن عملاق بن لاود بن سام بن نوح، وقيل: إن هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه ثم مات يوسف بعد حيّ،

فملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن اليبلواس بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوي بن سام بن نوح وكان كافراً فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى أن يقبل.

قال ابن عباس: لما دخلوا مصر تلقى قطفير مالك بن ذعر فابتاع يوسف منه بعشرين ديناراً وزوج نعل وثوبين أبيضين، وقال ابن منبه: قدمت السيّارة بيوسف مصر [فعرضوه] للبيع فترافع الناس في ثمنه وتزايد حتى بلغ ثمنه وزنه مسكاً وورقاً فابتاعه قطفير بن مالك بهذا الثمن فذلك قوله تعالى وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ .

فإن قيل: كيف أثبت الشرى في قوله وشروه واشتراه ولم ينعقد عليه؟ والجواب: إن الشراء هو المماثلة فلمّا ماثله بمال من عنده جاز أن يقال: اشتراه، على التوسع، كقوله تعالى: **إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ** [التوبة: 111]الآية، فلمّا مرّ قطفير وأتى به منزله قال لامرأته واسمها راحيل بنت رعابيل، قاله محمد بن إسحاق بن يسار.

قال الثعلبي: وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن منبه، قال: حدثنا أبو حامد المستملي، حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: اسم امرأة العزيز التي ضمّت يوسف زليخا بنت موسى.

أَكْرِمِي مَثْوَاهُ منزله ومقامه، قتادة وابن جريج: منزلته عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَآ فيكفينا إذا بلغ وفهم الأُمور وبعض ما نحن [نستقبله] من أُمورنا.

أَوۡ نَتَّخِذَهُ وَلَدࣰاۚ أي نتبنّاه، قال ابن إسحاق: كان قطفير لا يأتي النساء،وكانت امرأته راحيل حسناء ناعمة طاعمة في ملك ودنيا.

قال الثعلبي: أخبرنا أبو بكر الجوزقي، أخبرنا أبو العباس الدغولي،حدثنا علي بن الحسن الهلالي، حدثنا أبو نعيم، حدثنا زهير عن أبي إسحاق عن أبي عبيد عن عبد الله قال: أفرس (فراست فهم وارا) الناس ثلاثة: فرمايائين ته ٽن ماڻهن پنهنجي سمجهہ فراست ذهين هئڻ جو ثبوت ڏنو

- العزيز حين تفرّس في يوسف فقال: أكرمي مثواه،
- والمرأة التي أتت موسى فقالت لأبيها: يا أبت استأجره،
- وأبو بكر حين استخلف عمر.

وَكَذَٰلِكَ أي وكما أنقذ يوسف من أيدي إخوته وقد هموا بقتله فأخرجناه من الجُبّ بعد أن ألقي فيه، فصيرناه إلى الكرامة والمنزلة الرفيعة عند عزيز مصر مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يعني أرض مصر، فجعلناه على خزائنها، قال أهل الكتاب: لما تمّت ليوسف (عليه السلام) ثلاثون سنة، استوزره فرعون. وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ أي ولكي نعلّمه من عبارة الرؤيا،مكنّا له في الأرض

وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ اختلفوا في هذه الكناية،

- فقال قوم: هي راجعـة إلى اللـه عـزّ وجـلّ، وتقـدير الكلام: لا يغلب الله شيء، بل هو الغالب على أمره يفعل ما يشاء، ويعلم ما يريد،
- وقال آخرون: راجعة إلى يوسف، ومعنى الآية: والله مستول على أمـر يوسـف يسوسـه ويحوطـه ويـدبّر أمره، ولا يكله إلى غيره.

وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ما الله صانع بيوسف، و[مـا] إليه يوسف من أمره صائر، وهم الذين زهدوا فيـه وبـاعوه بثمن بخس وفعلـــــــوا بـــــــه مـــــــا فعلـــــــوا. قالت الحكماء في هذه:

- والله غـالب على أمـره حيث أمـر يعقـوب يوسـف (عليهما السلام) أن لا يقصّ رؤياه على إخوته فغلب أمر الله حين قصّ،
- ثم أراد يعقوب أن لا يكيدوا فغلب أمره حتى كادوا،
- ثم أراد أخـوة يوسـف قتلـه فغلب أمـره حـتى لم يقتلوه،
- ثم أرادوا أن يلقوه في الجب ليلتقطه بعض السيارة فينـدرس اسـمه (؟)، فغلب أمـره حـتى لم ينـدرس اسمه وصار مذكوراً مشهوراً.

- ثم باعوه ليكون مملوكاً فغلب أمره حتى صار ملكـاً والعبيد بين يديه،

- ثم أرادوا أن يخلوا لهم وجه أبيهم، فغلب أمره حتى ضاق عليهم قلب أبيهم،

- * ثم تــدبّروا أن يكونــوا من بعــده قومــاً صــالحين تائبين، فغلب أمره حتى نسوا الـذنب وأصـروا حـتى أقـروا بين يـدي يوسـف في آخـر الأمـر بعـد أربعين سنة،

وقالوا: وإن كنا خاطئين، وقالوا لأبيهم: إنا كنا خاطئين.

ثم أرادوا أن يغـرّوا باسـم القميص والـدم والبكـاء، فغلب أمره حتى لم يخدع، وقال: بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً

- ثم احتالوا أن تـذهب محبتـه من قبـل أبيـه، فغلب أمره حتى ازدادت المحبة والشوق في قلبه،

- ثم تـــدبّر يوســـف أن يتخلص من الســـجن بـــذكر الساقي، فغلب أمره حتى نسي الساقي في ذكـره، ولبث في السجن بضع سنين،

- ثم احتـالت امـرأة العزيـز أن [تـترك] المـراودة عن نفسها حـتى قـالت مَـا جَـزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِـكَ سُوٓءًا الآية، فغلب أمره حتى شهد الشاهد من أهلها.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ أي منتهى شبابه وشدّة قوته، قال مجاهد: ثلاثاً وثلاثين سنة، الضحاك: عشرين سنة، وروى ابن عباس أنه ما بين ثماني عشرة (22 كان 30) سنة إلى ثلاثين سنة، وقيل: إلى أربعين،
وقيل: إلى ستين ،والأشُدّ: جمع شد، مثل قدّ، أقُدّ، وشرّ وأشُرّ، وضر وأضرّ، قال حميد:

وقد أتى لو تعبت العواذل بعد الاشل أربع كوامل

قال الشاعر:

هل غير أن كثر الأشل وأهلكت حرب الملوك أكاثر الأموال

آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً قال مجاهد: العقل والفهم والعلم قبل النبوة، وقال أهل المعاني: يعني إصابة في القول، وعلماً بتأويل الرؤيا وموارد الأُمور ومصادرها. وَكَذٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ قال ابن عباس: المؤمنين، وعنه أيضاً: المهتدين، وقال [الصدوق] عن الضحاك: يعني الصابرين على النوائب كما صبر يوسف، وقال محمد بن كعب: هذا وإن كان مخرج ظاهره على كل محسن، فإن المراد به محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول: كما فعلت بيوسف بعدما لقي من إخوته ما لقي وقاسى من البلاء ما قاسى فمكّنته في الأرض، ووطّأت له في البلاد، وآتيته الحكم والعلم فكذلك أفعل بك، أنجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة، وأُمكّن لك في الأرض، وأزيدك الحكم والعلم؛ لأن ذلك جزائي لأهل الإحسان في أمري ونهيي.

23 الي 29

وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ
ٱلأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي
أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ ٱلظَّالِمُونَ 23

* وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ
رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُ
مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ 24

* وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا
سَيِّدَهَا لَدَى ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ
سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ 25

* قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ
أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ
مِنَ الكَاذِبِينَ 26

* وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن
الصَّادِقِينَ 27

* فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن
كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ 28

* يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ
كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِئِينَ 29

23 وَرَاوَدَتْـهُ الَّتِي هُـوَ فِي بَيْتِهَـا يعـني امـرأة العزيـز، وطلبت منه أن يواقعها وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وكانت سبعة.

وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ، اختلـف القـراء فيـه، فقـرأ ابن عبـاس والسلمي وأبو وائل وقتـادة: هِئتُ لـك بكسـر الهـاء وضـم التاء مهموزاً، بمعنى تهيأتُ لك، وأنكرها أبو عمرو، قال أبو عبيـدة معمـر بن المثـنى: سـمعت أبـا عمـرو وسـئل عن قراءة من قرأ: هِئتُ لك بكسر الهاء وهمز الياء فقـال أبـو عمرو: باطل، جعلها من تهيـأت، اذهب واسـتعرض العـرب حتى تنتهي إلى اليمن، هل تعرف أحداً يقول هذا؟

وقـال الكسـائي أيضـاً: لم يُحـكَ هئت عن العـرب، وقـال عكرمة: هِئتُ لك: أي زيّنت لك وحسنت وهي قـراءة غـير مرضية، وقرأ نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر وعبداللـه بن أبي إسحاق: هيت لك بفتح الهاء وكسر التـاء، وقـرأ يحـيى بن وثاب: هِيتُ بكسر الهاء وضم التاء، وقرأ ابن كثير بفتح الهاء وضم التاء، وأنشد طرفة:

ليس قـــــــــومي بالأبعدين إذا	**مـــا قـــال داع من العشيرة هَيتَ**
هم يجيبــون إذا هم سراعا	**كالأبابيــل لا يغــادر بيت**

وقرأ أهل المدينـة والشـام بكسـر الهـاء وفتح التـاء، وقـرأ الباقون بفتح الهاء والتاء، وهي لغة النبي صـلى اللـه عليـه وسلم واللغة المعروفة عند العرب، الشعبي عن عبـد اللـه بن مسعود: أقرأني النبي صلى الله عليه وسلم هَيتَ لــك.

وروى الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود أنه قرأ هيت لك، فقيل له: هيت لك، فقال ابن مسعود: إنما نقرأها كما تعلّمناها وسمعناها جميعاً هلُمَّ وأقبل وادنُ، قال الشاعر [يخاطب] أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه):

أبلغْ أمير المؤمنين　　أن العراق وأهله سلم
اهل العراق إذا أتيتا　　[إليك] فهيت هيتا

قال السّدّي: هي بالقبطيّة هلمّ لك، وقال الحسين: هيت لك كلمة بالسريانية أي عليك، قال أبو عُبيد: كان الكسائي يقول هي لغة لأهل حوران وقعت إلى الحجاز معناها تعالَ، قال أبو عبيد: سألتُ شيخاً عالماً من حوران فذكرَ أنها لغُتهم، وكذا قال عكرمة، وقال مجاهد وغيره: هي لغة عربية تدعوه بها إلى نفسها وهي كلمة حَثّ وإقبال على الشيء، وأصلهما من [الدعوة] والصياح تقول العرب: هيّتَ فُلان بفلان إذا دعاهُ وصاحَ به، قال الشاعر:

قَدْ رابني أنّ لو كان مَعْنيّاً بها
الكريّ أسكتا　　لهَيَّتا

أي صاح به، والكريّ المكاريّ.

وقال أُستاذنا أبو االقاسم بن حبيب: رأيتُ في بعض التفاسير هيتَ لك يقول: هل لك رغبة في حُسني وجمالي، وذكر أبو عبيدة أن العرب لاتُثنّي هَيتَ ولا تجمع ولا تؤنّث، وإنّها بصورة واحدة في كلّ حال وإنّما تتميّز بما بَعدها وبما قبلها.

قال يوسف (عليه السلام) عندَ ذلك: مَعَاذَ اللَّهِ أعتصمُ

وأستجيرُ بالله ممّا دعوتِني إليه وهو مصدر تقديره: عياذاً بالله.

إِنَّهُ رَبِّي يعني إنّ زَوجكِ قطفير (فطفير؟ سيديّ، أَحْسَنَ مَثْوَايَ أي منزلتي، وعلى هذا أكثر المفسّرين، قال بعضهم: إنّها مردودة الى الله أَحْسَنَ مَثْوَايَ أي آواني ومن بلاء الحب عافاني.
إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ يعني إن فعلتُ، وأْتَمنني هذا فخنتُه في أهلهِ بعدما أكرمني وأْتمَنني وأحسنَ مثواي فأنا ظالم ولا يُفلح الظالمون، وقيل الزناة.
وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا يعني الهَمُّ بالشيء: حَديث المرء نفسَهُ به، ولمّا يفعل ذلك. يقول الشاعر:

هممتُ وَلمْ أفعلْ وكِدتُ وليتني تركتُ على عثمان تبكي حَلائلهُ

فأما ما كان من همّ يوسف (عليه السلام) بالمرأة وهمتها بهِ، فإنّ أهل العلم (اختلفوا) في ذلك، فروى سفيان بن عُيينة عن عُبيد الله بن أبي يزيد قال: سَمِعتُ ابن عباس سُئِلَ: ما بلغَ من همّ يوسف قال: حَلَّ الهميان وجلس منها مجلس المُجامع.

وروى ابن جريح عن ابن أبي عطية، قال: سألتُ ابن عباس (رضي الله عنه): ما بلغَ من همّ يوسف، قال: استلقتْ له على قفاها وقعد بين رجليها لينزع ثيابَهُ.

سعيد بن جُبير: أطلق تكة سراويله، مُجاهد: حَلَ السراويل حَتّى بلغَ الثفن، وجلس منها مجلس الرجل من امرأته.

الضحاك: جرى الشيطان فيما بينهما فضرب بيده إلى جيد يوسف، وباليد الأخرى إلى جيد المرأة حتّى جمع بينهما.

قال السَديّ وابن اسحاق: لمّا أرادت امرأة العزيز مُـراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر لهُ محاسن نفسـه وتُشـوّقه إلى نفسها فقالت له: يا يوسف ما أحسن شعرك

قال: هو أوّل ما ينتثر من جسدي،

قالت: يا يوسف ما أحسنَ عينك قـال: هي أوّل مـا تسـيلُ إلى الأرض من جسدي،

قالت: ما أحسن وجهك قال: هـو للتُـراب يأكلـه، فلم تـزل تُطيعه مرّة وتخيفه أُخرى وتـدعوه إلى اللـذّة، وهـو شـاب مسـتقبل بجـد من شـبق الشـباب مـا يجـد الرجـل، وهي حسناء جميلة حتى لانَ لهـا ممّـا يـرى من كلفهـا بـه ولمـا يتخوف منها حـتى خليـا في بعض الـبيوت وهمَّ بهـا، فهـذه أقاويـــل المفسّـــرين من الســـلف الصـــالحين. وقـالت جماعـة من المتـأخرين: لا يليـق هـذا بالأنبيـاء [:] فـأوّلوا الآيـة بضـروب من التأويـل، وقـال بعضـهم: وهمَّ بالفرار منها، وهذا لا يصحّ لأنّ الفرار مذكور وليس لـه في الآية ذكر، وقيل: هَمَّ بضربها ودفعها، وقيل: هَمَّ بمخاصمتها ومرافعتها إلى زوجها، وقيـل: وهَمَّ بها هـو كنايـة عن غـير مذكور،

وقيل: تَمَّ الكلام عند قوله: ولقـد همّت بـه ثمّ ابتـدأ الخـبر عن يوســـــف وقـــــال: وهمَّ بهـــــا.

لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ: على التقديم والتأخير تقديرها: لولا أن رأى برهان ربّه لهمَّ بها ولكنّه رأى البرهان فلم يهمّ كقوله: **وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَانَ** [النساء: 83]

وهذا فاسدٌ عند أهلِ اللغة لأنّ العرب لا تُقدّم جواب (لولا) قبلها، لا يقول: لقد قمت لولا زيد، وهو يُريد، لولا زيد لقمتُ، جويبر عن الضحّاك عن ابن عباس قال: همّت بيوسف أن يفترشها وهمّ بها يوسف يعني تمنّاها أن تكون له زوجة.

وهذه التأويلات التي حكيناها كلها غير قوّية ولا مُرضية لمخالفتها أقوال القُدماء من العلماء الذين يؤخذ عنهم التأويل، وهم قد أخذوا عن الذين شهدوا التنزيل. وكما روي في الخبر الصحيح أنّ يوسف لما دخل على الملك وأقرّت المرأة، وقال يوسف: ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ قال له جبرئيل عليه السلام: ولا حين هَمَمت بها يا يوسف؟ فقال يوسف عند ذلك وَمَآ أُبَرِّىءُ نَفْسِيۤ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِٱلسُّوۤءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيۤ.

وأما أهل الحقائق فإنّهم قالوا في وجه هذه الآية: إنّ الهمّ همّان: همٌّ مُقيمٌ (ثابت) وهو إذا كان مع عزيمة وعقد ونيّة ورضى مثل همّ امرأة العزيز فالعهد مأخوذ.

وهمٌّ عارض وارد وهو الخطرة والفكرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزيمة مثل همّ يوسف (عليه السلام)، والعهد غير مأخوذ ما لم يتكلّم به أو يفعله، يدلّ عليه ما

روي عن ابن (المبارك) قال: قلتُ لسفيان: أيؤخذ العهد بالهمّة؟ قال: إذا كان عزماً أُخذ بها.

وروي عن أبي هُريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

" يقول الله عزّ وجل: " إذا همّ عبدي بالحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة، وإن عملها كتبتها له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، وإذا هَمَّ عبدي بالسيّئة ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإنْ عملها كتبتها عليه سيّئة واحدة، فإنْ تركها من أجلي كتبتها له حسنة " ".

والقول بإثبات مثل هذه: الزلاّت والصغائر على الأنبياء (عليهم السلام) غير محظور لضرب من الحكمة:

أحدها: ليكونوا من الله تعالى على وجل إذا ذكروها فيجدّون في طاعته إشفاقاً منها ولا يتّكلون على سعة رحمة الله.

والثاني: ليُعرّفهم موقع نعمته وامتنانه عليهم بصرفه عنهم.

والثالث: ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله وترك اليأس من عفوه وفضله.

وقد روى عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"مـا من أحـد إلاّ يلقى اللـه عـزّ وجـل قـد هَمّ بخطيئة أو عملها إلاّ يحيى بن زكريا فإنّـه لم يهم ولم يعملها".

وعن مصعب بن عبدالله قال: حدّثني مصعب بن عثمان قال: كان سليمان بن يسار من أحسن الناس وجهاً، فدخلت عليه امرأة تستفتيه: (فتأمنته) بنفسه فامتنع عليها وذكّرها، فقالت له: إن لم تفعل لأشهّرنَّ بك ولأصيحنَّ بك، قال: فخرج وتركها، فرأى في منامه يوسف النبي (عليه السلام)، فقال له: أنت يوسف؟ قال: أنا يوسف النبي هممتُ وأنت سُليمان الذي لم تَهمّ.
وأمّا البرهان الذي رآه يوسف (عليه السلام) فإنّ العلماء اختلفوا فيه، فأخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى عن أبي العباس الأصمّ عن الحسن بن علي، عن الحسين بن عطية عن إسرائيل عن أبي حصين عن سعيد عن ابن عباس لَوْلا أن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ قال: مثل له يعقوب فضرب يده في صدره، فخرجت شهوته من أنامله.

وقال الحسن وسعيد بن جُبير وحميد بن عبد الرحمن ومجاهد وعكرمة وابن سيرين وأبو صالح وشمر بن عطية والضحّاك: انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضاً على إصبعه.

وقال ابن جبير: فكل ولد يعقوب ولِدَ له اثنا عشر ولداً إلاّ يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولداً من أجل نقص من

شـــــــهوته حين رأى صــــــــورة أبيــــــــه فاســــــــتحياهُ.
قُتادة: رأى صورة يعقـوب فقـال: يـا يوسـف تعمـل عمـل السُّفهاء وأنت مكتوبٌ من الأنبياء؟

ابن أبي مليكـه: عن ابن عبـاس قـال: نـودي: يـا يوسـف أتزني فتكون كالطير وقع ريشه فذهب يطير فلا ريش له؟
السدّي: نودي يا يوسف تواقعها؟ إنّما مثلك ما لم تواقعهـا مثل الطير في جـو السـماء لا يُطلـق، ومثلُـكَ إنْ واقعتهـا مثل [الطير] إذا مات وقع في الأرض لا يسـتطيع أن يـدفع عن نفسه، ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يُعمـل عليـه، ومثلـك إنْ واقعتهـا مثـل الثـور حين يمـوت فيدخل النمل في أصـل قرنيـه، فلا يسـتطع أن يـدفع عنـه نفســه.
أبو مردود عن محمّد بن كعب القرضي: قال: رفع يوسـف رأسـه إلى سـقف الـبيت حين همّ فـرأى كتابـاً في حائـط الـبيت **وَلاَ تَقْرَبُـواْ ٱلـزِّنَىٰ إِنَّهُ كَـانَ فَاحِشَـةً وَسَـآءَ سَبِيلاً** [الإسراء: 32]

أبـو معشـر عنـه: لـولا مـا رأى بـالقرآن من تعظيم الزنـا وتحريمه، وزاد القرضي: بـالقرآن وصـحف إبـراهيم (عليـه الســلام).
ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا

قال: حَلّ سراويله وقعد منها مقعد الرجل من امرأتــه وإذا بكـفّ قـد مُـدّت فيمـا بينهمـا ليس فيهـا عضـد ولا معصـم مكتوب فيها:

وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُــــــــــــــونَ [الإنفطـــــــــــــار: 10-12].

قال: فقام هارباً وقامت، فلمّا ذهب عنهمـا الـرُعب عـادت وعاد، فلمّا قعد منها مقعد الرجل من امرأته فإذا بكف قـد مدّتْ فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها

وَٱتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُـلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ [البقرة: 281]،

فقام هارباً وقامت فلمّا ذهب عنهما الـرُعب عـادت وعـاد، فلمّا قعد منها مقعد الرجـل من امرأتـه، قـال اللـه تعـالى لجبريـل (عليـه السـلام): يـا جبرئيـل أدرك عبـدي قبـل أن يُصيب الخطيئة، فـرأى جبريـل عاضّـاً على أصـبعه أو كفّـه وهو يقول: يا يوسف أتعمل عمـل السـفهاء وأنت مكتـوب عند الله في الأنبياء؟ فـذلك قولـه تعـالى: كَـذَلِكَ لِنَصْـرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوۤءَ وَٱلْفَحْشَآءَ .

قتــادة عن عطيــة عن وهب بن مُنبــه، إنّــه قــال: لمّــا همّ يوسف وامرأة العزيز بما همّا خرجت كفّ بلا جسد بينهمــا مكتــوبٌ عليهــا بالعبرانيــة **أَفَمَنْ هُـوَ قَـآئِمٌ عَلَىٰ كُـلِّ نَفْسٍ بِمَـا كَسَـبَتْ** [الرعـد: 33] ثُمّ انصـرفت الكـفّ وقامـا مقامهمـا، ثُمّ رجعت الكـفّ بينهمـا مكتـوبٌ عليهـا

بالعبرانيـة **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـافِظِينَ * كِرَامـاً كَـاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** [الإنفطار: 10-12]،
ثمّ انصرفت الكفّ وقاما مقامهما، فعادت الكفّ بالعبرانيـة مكتوب عليهـا: **وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلـزِّنَىٰ إِنَّهُ كَـانَ فَاحِشَـةً وَسَآءَ سَبِيلاً** [الإسراء: 32]
فانصـرفت الكـفّ وقامـا مقامهمـا، فعـادت الكـفّ رابعـة مكتوبٌ عليها بالعبرانيـة: **وَٱتَّقُـواْ يَوْمـاً تُرْجَعُـونَ فِيـهِ إِلَى ٱللَّهِ** [البقـــرة: 281] فـــولّى يوســـف هاربـــاً.
وروى عطية عن ابن عباس، أنّ البرهان الذي رآه يوســف أنّـه أرِيَ تمثـال الملـك، وروى عمـر بن اسـحاق عن بعض أهل العلم أنّه قطفير سـيّده حين دنـا من البـاب في ذلـك الحين، إنّـه لمـا هـرب منهـا واتّبعتـه ألفـاه لـدى البـاب.
روى علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جعفر الصــادق ج قـال: حـدّثني أبي عن أبيـه علي ابن الحسـين، في قولـه تعالى: لَوْلا أن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ قال: قـامت امـرأة العزيـز إلى الصنم فاظلت دونه بثوب فقال لها يوسـف: مـا هـذا؟ فقــالت: أســتحيي من الصــنم أن يرانــا، فقــال يوســف: أتستحيين ممَّن لا يسـمع ولا يُبصـر ولا يفقـه ولا يشـهد ولا أســــــتحيي ممّن خلـــــق الأشـــــياء وعلّمهـــــا؟
وقـال جعفـر بن محمـد: البرهـان النبـوّة الـتي: أودع اللـه صدره هي التي حالت بينه وبين ما يسخط الله.
وقيل: هو ما آتاه الله من العلم والحكمة،
وقال أهل الإشارة: إنّ المؤمن له بُرهان من ربّه في سرّه من معرفته فرأى ذلك البُرهان وهو زاجره.
فالبرهان الآية والحجّة،
وجواب (لولا) محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربّه لزنا، وحقّق الهمّة الغريزية بهمّة الكسب، لقوله تعـالى: **وَلَـوْلاَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ** [النور: 10] [النور: 20]

وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ [النور: 10]
وأنّ اللـــهَ رَؤُوفٌ رَحِيْم [النـــور: 20] مجـــازه لهلكتم،
وقال امرؤ القيس:

فلــــو أنّهـــا نفس تموت سوية ولكنّهـــــــا نفسٌ تساقط أنفسنا

أراد [بسقطت] فنيت ولهان عليَّ، ونحوها.

قــال اللــه تعــالى: كَـذَلِكَ لِنَصْـرِفَ عَنْـهُ السُّوءَ الإثم وَالْفَحْشَآءَ الزنا.
إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ قـرأ أهـل مكّـة والبصـرة بكسـر اللام أي المُخلِصين التوحيـد والعبـادة للـه، وقـرأ الآخـرون بفتح اللام أي المختــارين للنبـــوّة، دليلهـــا قولـــه **إِنَّآ أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ** [ص: 46].

وروى الزهري عن حمزة بن عبيدالله بن عمـران بن عمـر قال: قال:

" لمّا اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم الألم الذي توفّي فيه، قال صلى الله عليه وسلم: يصلّي بالنـاس أبـو بكـر"، قالت عائشة: يا رسول الله إنّ أبا بكر رجل رقيق، وإنّـه لا يملك نفسه حين يقرأ القُرآن، فَمُره عمر يصلّي بالناس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يصلّي بالنـاس أبـو بكر" فراجعته،
فقال " ليصلِّ بالناس أبو بكر فإنّكن صويحبات يوسف" ، قالت عائشة: واللـه مـا حملـني في ذلـك الأمـر عليهم أن يكون أوّل رجل قام مقـام رسـول اللـه (صـلى اللـه عليـه وسلم)."

وأخـبرني ابن فنجويـه قـال: حـدّثنا عبداللـه بن محمـد بن شيبة قال: حدّثنا أبو حامد أحمد بن جعفر المستملي قال: حدّثنا بعض أصحابنا قال: قال جعفر بن سـليمان: سـمعتُ امـرأة في بعض الطـرق وهي تتكلّم ببعض الـرفث فقلت لهـا [....] إنّكن صـويحبات يوسـف، فقـالت لـه المـرأة: واعجبـاً نحنُ دعونـاه إلى اللـذّة، وأنتم أردتم قتلـه، فمن أصحابه نحن أو أنتم، وقتل النفس أعظم ممّا أردناه؟

وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وذلـك أنّ يوسـف لمّـا رأى البُرهـان قـامَ مُبادراً إلى باب البيت،هارباً ممّا أرادته منه، واتبعته المـرأة فـــــــذلك قولـــــــــه تعـــــــــالى. وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ: يعني بادر يوسف وراحيل إلى الباب، أمّـا يوسف ففراراً من ركوب الفاحشـة، وأمّـا المـرأة فطلبهـا ليوسف لتقضي حاجتها أيّ راودته عليها، فأدركتـه فتعلّقت بقميصه من خلفه فجذبته إليها مانعة له من الخروج.

وَقَدَّتْ أي خرّقتْ وشقّت قَمِيصَـهُ مِن دُبُـرٍ : من خلـف لا من قُدّام، لأنّ يوسف كان الهارب والمـرأة الطالبـة، فلمّـا خرجا وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ، أي وجـدا زوجهـا قطفـير عنـد البـاب جالسـاً مـع ابن عمّ لراحيـل، فلمّـا رأتـه هابتـه فقالت: سابقة بـالقول لزوجهـا: قَـالَتْ مَـا جَـزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوۤءًا يعني الزنـا، إِلاَّ أَن يُسْـجَنَ يُحبس، أَوْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ يعـــني الضـــرب بالســـياط، قالـــه ابن عبـــاس: قَالَ يُوْسِف: بل هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَـاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ،

اختلفوا في هذا الشاهد،

قال سعيد بن جُبير وهلال بن يسار والضحّاك: كان صبيّاً في المهد أنطقه الله بقدرته.
وحدّثنا العوفي عن ابن عباس وشهر بن حوشب عن أبي هريرة، ويدلّ عليه ما روى عطاء ابن السائب عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **" تكلّم أربعة وهم صغار:**

- **ابن ماشطة بنت فرعون،**
- **وشاهد يوسف،**
- **وصاحب بن جُريج،**
- **وعيسى ابن مريم (عليه السلام). "**

وقيل: كان ذلك الصبيّ ابن خال المرأة،

وقال الحسن: غلامه،

قتادة والضحّاك ومجاهد برواية [...]: ما كان بصبي ولكنه كان رجلا حكيماً ذا لحية، له رأي ومقال وآية، وهو رواية ابن أبي مليكة عن ابن عباس، قال: وكان من خاصّة الملك. وقال السدي: هو ابن عمّ راحيل، وكان جالساً مع زوجها على الباب فحُكِّم وأخبر الله تعالى عنه: إِن كَانَ قَمِيصُهُ الآية.
قال عيسى عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: إنّ الشاهد قميصه المقدود من دُبر، ومعنى شَهِد شاهد حَكم حاكم

من أهلها، قال مجاهد: قال الشـاهد: تبيـان هـذا الأمـر في القميص.

وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ إِن كَـانَ قَمِيصُـهُ قُـدَّ مِن قُبُـلٍ أي قـدام فَصَـدَقَتْ وَهُـوَ مِنَ الكَـاذِبِينَ وخفّـف ابن أبي إسـحاق القُبـل والـدُبر وثقّلهمـا الآخرون وهما لغتان.

فجيء بـالقميص فـإذا هـو قُـدّ من دُبـر، فلمّـا رأى قطفـير قميصه قُدّ من دُبر عرف خيانة امرأتـه وبـراءة يوسـف فَقَالَ لهـا إِنَّهُ أي إنّ هـذا الصـنيع مِن كَيْـدِكُنَّ إِنَّ كَيْـدَكُنَّ عَظِيمٌ ، وقيل: إنّ هذا من قول الشاهد.
ثمّ أقبـل قطفـير على يوسـف فقـال: يُوسُـفُ يعـني يـا يوسف، لفظ مفـرد أَعْـرِضْ عَنْ هَـٰـذَا الحـديث فلا تـذكره لأحد، وقيل: معناه لا تكترث له فقد كـان عفـوك لبراءتـك، ثمّ قال لامرأته: وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ وقيل: هـو من الشـاهد ليوسف والراحيل، وأراد بقولـه: اسـتغفري لـذنبك، يقـول: سـلي زوجـك ألاّ يعاقبـكَ على ذنبـك ويصـفح عنـك، وهـذا معنى قول ابن عباس. (راحيـل يوسـف عليـه السـلام جي والده جو نالو آهي. ثعلبي كتـان زليخـا كي راحيـل سـڏڻ جو دليل آندو آهي؟
إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِئِينَ من المـذنبين حين راودت شـابّاً عن نفسه وخُنتِ زوجكِ، فلمّا استعصم كذبت عليـه، يقـال خطأ يخطأ خطأً، وخِطـأً، وخطـأً وخِطـاءً، إذا أذنب والاسـم منه الخطيئة، قـال اللـه تعـالى: **إِنَّ قَتْلَهُمْ كَـانَ خِطْئـاً كَبِيراً** [الإسراء:31] وقال أُميّة:
عبـادك يخطـأون بكفّيك المنايـا

وأنتَ ربٌّ والحتومُ

أيّ يُذنبون؛ فإذا أرادوا التعمّد قيل: خَطأ خطأْ هنا لأنّ الفعل بالألف قال الله تعالى: **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً** [النساء: 92]، وإنّما قال مِنَ ٱلْخَاطِئِينَ ولم يقل: الخاطئات لأنّه لم يقصد بذلك قصد الخبر عن النساء، وإنّما قصد به الخبر عمّن يفعل ذلك، وتقديره: من القوم الخاطئين. ومثله قوله: **وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَانِتِينَ** [التحريم: 12]، بيانه قوله: إنّها كانت من قوم كافرين.

30 الي 35

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَةُ ٱلْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ 30

*** فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئاً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَراً إِنْ هَـٰذَآ إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ 31**

*** قَالَتْ فَذٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَٱسَتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّن ٱلصَّاغِرِينَ 32**

*** قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَاهِلِينَ 33**

*** فَٱسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ 34**

*** ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ 35**

30 وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ يقول: شاع أمر يوسف والمرأة في مدينة مصر وتحدّثت النساء بذلك، وقلن يعني امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب، قاله مقاتل ٱمْرَأَةُ ٱلْعَزِيزِ وهو في كلام العرب الملك، قال أبو داود:

درّةٌ غـــاصَ عليها تاجِرٌ جُليت عند عزيز يومَ طلّ

أيّ ملــك.

تُــرَاوِدُ فَتَاهَــا عـــدّها الكنعـــاني عن نفســه.

قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً أي أحبّها حتى دخل حبّه شغاف قلبها، وهو حجابه وغلافه. قال السدّي: الشغاف جلدة رقيقة على القلب يُقال لها: لسان القلب، تقول: دخل الحُبّ الجلد حتى أصاب القلب،قال النابغة الذبياني:

وقَدْ حال هَمّ دون دخــولَ الشِّــغافِ ذلك داخلٌ تبتغيه الأصابعُ

وقال ابن عباس: علقها حُبّاً، الحسن: بطنها حُباً، قتادة: استبطنها حبّها إيّاه، أبو رجاء: صدقها حُبّاً، الكلبي: حجب حبّه قلبها حتى لا يعقل سواه.
وقرأ أبو رجاء العطاردي والشعبي والأعرج، شعفها بالعين غير معجمة واختلفوا في معناها فقال الفرّاء: ذهب بها كلّ مذهب، وأصله من شعف الجبال وهي رؤوسها، والنخعي والضحّاك: فتنها، وذهب بها، وأصله من شعف الدابة حين تتمرّغ بذُعر، قال امرؤ القيس:

أتقتلني وقد شعفتُ فؤادها   كما شعف المهنوءة الرجل الطالي

ومراده: ذهب قلب امرأته كما ذهب الطالي بالإبل بالقطران يتلو بها، والإبل تخاف من ذلك ثمّ تستروح إليه، وقال الأخفش: من حبُّها، وقال محمد بن جرير: عمّها الحُب.
إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ : خطأً بيّن،
فَلَمَّا سَمِعَتْ راحيل، بِمَكْرِهِنَّ بقولهنّ وحديثهنّ، قال قتادة والسدّي وقال ابن إسحاق: وإنّما قلنّ ذلك مكراً بها لِيَرينَ يهمّن يوسف وكان قد وصف لهُنّ حُسنه وجماله أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ قال وهب: اتخذّت مأدبة ودعت أربعين امرأة فيهنّ هؤلاء اللائي عيّرنها، وَأَعْتَدَتْ وأعدّت وهو أفعلت العَتاد وهو العِدَّة، قال الله تعالى: **إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً** [الكهف: 29].
لَهُنَّ مُتَّكَئاً مجلساً للطعام وما يتكئن عليه من النمارق والوسائد، يُقال: ألقى له مُتّكأ أيّ ما يُتّكأ عليه، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة. وقال سعيد بن جُبير والحسن وقتادة وأبي إسحاق وابن زيد: طعاماً، قال القتبيّ: والأصل فيه أنّ من دعوته إلى مطعم عندك أعددت له وسادة أو متّكأ، فسُمّي الطعام مُتّكأ على

الاستعارة، يُقال: اتّكأنا عند فلان أي أكلنا، قال عدي بن زيد:

فظللنا بنعمة واتّكأنا **وشَربنا الحلال من قُلَلِهِ**

وروي عن الحسن أنّه قال: متّكاء بالتشديد والمدّ وهي غير فصيحة، وعن الحسن: فما أظنّ بصحيحة، وقرأ مجاهد مُتّكأ خفيفة غير مهموزة، وروي ذلك عن ابن عباس.

واختلفوا في معناه، فقال ابن عباس: هو الأترج، عكرمة: هو الطعام، وأبو روق عن الضحّاك: الزماوَرد، علي بن الحكم وعبيد بن حكيم، عنه: كلّ شيء يُحزّ بالسكّين فهو عند العرب المتّكأ، والمتك والبتك: القطع والعرب تُعاقب بين الباء والميم تقول سمد رأسه وسبده، وأغبطت عليه وأغمطته [لازب] ولازم قال الله تعالى:

فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ [النساء: 119].

وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَت ليوسف اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ وذلك أنّها قد كانت أجلسته في مجلس غير المجلس الذي هُنّ فيه جلوس، فخرج عليهنّ يوسف (عليه السلام)، قال عِكْرمة: وكان فضل يوسف على الناس في الحسن والجمال كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" مررتُ ليلة أُسري بي إلى السماء فرأيتُ يوسف، فقلت: يا جبرئيل من هذا؟ قال: هذا يوسف " قالوا: وكيف رأيته يا رسول الله، قال: " كالقمر ليلة البدر ".**

وعن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **" هبط جبرئيل فقال: يا محمد إنّ الله تعالى يقول: كسوتُ حُسنَ يوسف من نور الكُرسي، وكسوتُ نورُ حُسن وجهك من نور عرشي".**

وروى الوليد بن مسلم عن إسحاق عن عبدالله بن أبي فروة قال: كان يوسف إذا سارَ في أزقّة مصر يُرى تلألؤ وجهه على الجُدران كما يُرى نور الشمس والماء على الجِدران.

فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ أي أعظمنه وأجللنه، قال أبو العالية: هالَهنّ أمره وبُهتن، وروى عبدالصمد بن علي عن عبدالله بن عباس عن أبيه عن جده ابن عباس في قوله تعالى: فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ قال حضن من الفرح، ثم قال:

نأتي النساء على أطهارهنّ ولا … نأتي النساء إذا أكبرنَ إكباراً

وعلى هذا التأويل يكون أكبرنه بمعنى أكبرن له أي حِضن لأجله من جماله، ووجدن ما تجد النساء في مثل تلك الحال وهذا كقول عنترة:

ولقد أبيتُ على الطوى وأظلّه … حتى أنال به كريم المطعم

أي وأظلّ عليه..

قال الأصمعي: أُنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البيت، فقال:

ما من شاعر جاهلي أحببت أن أراه … دون (.............) البيت

وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ، يعني وحَزَزْنَ أيـديهنّ بالسـكاكين الـتي معهنّ وكُنّ يحسبن أنّهنّ يقطّعن الأترج، عن قتادة: قطّعن أيديهنّ حتى ألقينها، وقال مجاهد: فمـا أَحسسـنَ إلاّ بالـدم ومنهنّ لم يجـدن من ألم إلاّ يُـرى الـدم لشـغل قلـوبهنّ بيوسف، قال وهب: وبلغني أنّ تسعاً من الأربعين مِتنَ في ذلـــــك المجلس وُجْـــــــداً بيوســــــف.

وَقُلْنَ حَـاشَ للَّهِ أي معـاذ اللـه، قـال أبـو عبيـدة: لهـذه الكلمـة معنيـان: التنزيـه الاسـتثناء، واختلـف القُـرّاء فيهـا فقرأت العامّة: حاشَ لله، [...] حذفوا الألف لكـثرة دورهـا على الألسـن كمـا حـذفت العـرب الألـف من قـولهم: لأب لغيرك ولأب لشانئِكَ، وهم يعنون لا أبَ، واختار أبـو عُبيـدة هذه القراءة وقال: اتّباعاً للكتاب وهو الذي عليه الجمهــور الأعظم، مع إنّي قرأتها في الإمـام مصـحف عثمـان (عليـه السلام): حاشَ لله والأخرى مثلها. وقرأ أبو عمرو: حاشـي لله بإثبات الياء على الأصل، وقرأ ابن مسعود حاشى الله، كقول الشاعر:

حاشــــا أبي ثوبان إن به ضَـــنّا عن الملحـــاة والشتم

مَا هَـٰذَا بَشَـراً نصـب بـنزع حـرف الصـفة وعلى خـبر مـا الجحد كما تقول: ما زيدٌ قائماً، وقرأ الأعمش: ما هذا بشرٌ بالرفع وهي لغة أهل نجد، وأنشد الفرّاء:

ويزعم حسـل أنـه فرعُ قومه ومـــا أنتَ فـــرعٌ يـــا حُسيل ولا أصلُ

وأنشد آخر:

لشتّان ما أنوي وينـوي بنو أبي **جميعاً فما هـذان مستويان**
تمنّوا ليَّ الموت الـذي يشعب الفتى **وكـــــلُّ فــــتىً والموت يلتقيانِ**

وروى الفرّاء عن دعامة بن رجاء التيمي عن أبي الحويرث الحنفي أنّـه قـرأ: مـا هـذا بِشَـرِيّ، قـال الفـرّاء: يعـني بمُشتري، إِنْ هَـٰذَآ ما هذا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ من الملائكة.

قال الثعلبي: سمعت ابن فورك يقـول: إنمّـا قلن لـه مَلـكٌ كريم لأنّه خالف ميوله وأعرض عن الدنيا وزينتها وشـهوتها حين عُرِضْنَ عليه، وذلك خلاف طبائع البشر.

قالت: راحيل للنسوة: فَـذٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيـهِ أي في حُبّه وشغفي فيه، ثمّ أقرّت لهنّ فقالت: وَلَقَـدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِـهِ فَٱسَتَعْصَـمَ أي امتنـع واستعصـى، فقلن لـه أطـع مولاتك، فقـالت رحيـل: وَلَئِن لَّمْ يَفْعَـلْ مَـآ آمُـرُهُ ولئن لم يُطاوعني فيما دعوته إليه، لَيُسْجَنَنَّ أحبسنّه، وَلَيَكُوناً مِّن ٱلصَّاغِرِينَ أي الأذلاّء ونون التوكيد تثّقل وتخفّف والوقـف على قوله: لَيُسْجَنَنَّ بالنون لكنّهـا مُشـدّدة. وعلى قولـه: وليكوناً بالألف لأنّها مخفّفة وهي تشـبه نـون الإعـراب في الأسماء كقولك: رأيتُ رجلا، فـإذا وقفت قلت: رجلا ومثلـه قولـــــــــــــــــــــه تعــــــــــــــــــالى: **لَنَسْفَعاً بِٱلنَّاصِيَةِ** [العلق: 15]، ونحـوه الوقـف عليهـا بالألف كقول الأعشى:

وصـــــــــلّ على حين العشيّات والضُحى **ولا تعبـد الشـيطان والله فاعبدا**

أي أراد فاعبـدنْ، فلمّـا وقـف عليـه كـان الوقـف بـالألف. واختار يوسف حين عاودته المرأة في المـراودة وتوعّدتـه، السجن على المعصية، قَـالَ رَبِّ: يـا ربّ، منـادى مضـاف،

السِّجْنُ المحبس، قراءة العامّة بكسر السين على الاسم وقرأ يعقوب برفع السين على المصدرية يعني الحبس، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ، ثمّ علم أنّه لا يستعصم إلاّ بعصمة الله فقال: وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ أمِلْ إِلَيْهِنَّ وأبايعهن، فقال صبا فلان إلى كذا، وصبا يصبو، صبواً وصبوة، إذا مال واشتاق إليه، قال يزيد بن ضُبّة:

إلى هند وهندٌ مثلها
صبا قلبي يُصبي

وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لدعائه وشكايته، الْعَلِيمُ بمكرهنّ.

ثُمَّ بَدَا لَهُمْ أي العزيز وأصحابه، في الرأي مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ الدّالة على براءة يوسف، وهي قدّ القميص من دُبر وخمش في الوجه وتقطيع النسوة أيديهنّ لَيَسْجُنُنَّهُ قال الفرّاء: هذه اللام في اليمين وفي كلّ مضارع القول كقوله تعالى: **وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ** [البقرة: 102] **وَظَنُّواْ مَا لَهُمْ مِّن مَّحِيصٍ** [فصلت: 48] دخلتهما (اللام وما) لأنّهما في معنى القول واليمين.

حَتَّىٰ حِينٍ يعني إلى الوقت الذي يرون فيه رأيهم. قال عِكْرِمة: تسع سنين، الكلبي: خمس سنين، و(حتى) بمعنى (إلى) كقوله تعالى:

حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ [القدر: 5]، وقال السدّي: وذلك أنّ المرأة قالت لزوجها:

إنّ هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس، يعتــذر إليهم ويخبرهم أنّي راودته عن نفســه، ولســتُ أُطيـق أن أعتـذر بعُذري، فإمّا أن تأذن لي فأخرج فأعتذر، وأمّا أن تحبســوه كما حبسـتني، فحبسـه بعـد علمـه ببراءتـه، وذكـر أنّ اللـه تعالى جعل ذلك الحبس تطهيراً ليوسف من همّته بـالمرأة وتكفـــــــــــــــــــــــيراً لزلّتـــــــــــــــــــــــه.
قـال ابن عبـاس: عـثر يوسـف ثلاث عـثرات: (عـثر trip, stumble)

- حين همّ بها فسجن، 12.24
- وحين قال: ﴿ٱذْكُـرْنِي عِنـدَ رَبِّكَ فَأَنْسَـاهُ ٱلشَّـيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ ، 12.47
- وحين قــال لهم: ﴿إنّكُمْ لَســارِقُوْنَ﴾ 12.70 فَقَــالوا ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أخٌ لَهُ مِن قَبْلُ﴾. 12.77

36 الي 49

وَدَخَـلَ مَعَـهُ ٱلسِّـجْنَ فَتَيَـانِ قَـالَ أَحَـدُهُمَآ إِنِّيۤ أَرَانِي أَعْصِـرُ خَمْـراً وَقَـالَ ٱلآخَـرُ إِنِّي أَرَانِيۤ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِـي خُبْـزاً تَأْكُـلُ ٱلطَّيْـرُ مِنْـهُ نَبِّئْنَـا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ 36

*** قَـالَ لاَ يَأْتِيكُمَـا طَعَـامٌ تُرْزَقَانِـهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَـا بِتَأْوِيلِـهِ قَبْـلَ أَن يَأْتِيكُمَـا ذٰلِكُمَـا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيۤ**

إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُمْ بِٱلآخِرَةِ
هُمْ كَافِرُونَ 37

* **وَ ٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِيۤ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ**
وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ
ذٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ 38

* **يٰصَاحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ**
ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ 39

* **مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ**
وَآبَآؤُكُمْ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ
إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوۤاْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ
وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ 40

* **يٰصَاحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ**
خَمْراً وَأَمَّا ٱلآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ
قُضِيَ ٱلأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ 41

* **وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ**
رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ ٱلشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي
ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ 42

* **وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيۤ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ**
يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ

يَابِسَاتٍ يٰأَيُّهَـا ٱلْمَلأُ أَفْتُـونِي فِي رُؤْيَـايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ 43

*** قَالُوٱْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِولأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ 44**

*** وَقَـالَ ٱلَّذِي نَجَـا مِنْهُمَـا وَٱدَّكَـرَ بَعْـدَ أُمَّةٍ أَنَـاْ أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ 45**

*** يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَـا فِي سَـبْعِ بَقَـرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَـبْعِ سُـنبُلاَتٍ خُضْـرٍ وَأُخَـرَ يَابِسَـاتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِـعُ إِلَىٰ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ 46**

*** قَالَ تَزْرَعُـونَ سَـبْعُ سِـنِينَ دَأَبـاً فَمَـا حَصَـدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ 47**

*** ثُمَّ يَـأْتِي مِن بَعْـدِ ذٰلِـكَ سَـبْعٌ شِـدَادٌ يَـأْكُلْنَ مَـا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ 48**

*** ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذٰلِكَ عَـامٌ فِيـهِ يُغَـاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ 49**

وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ وهما غلامان كانا للملـك الأكـبر الوليد بن الريان، أحـدهما خبّـازه صـاحب طعامـه واسـمه مجلِث، واالآخر ساقيه صـاحب شـرابه واسـمه بنـو غضـب عليهما الملك فحبسهما، وذلك أنّه بلغه أنّ خبـازه يريـد أن

يسمّه وأنّ ساقيه مالا على ذلك، وكان السبب أن جماعة من أهل مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله فدسّوا إلى هذين، وضمنوا لهما مالا ليسُمّا طعام الملك وشرابه فأجاباهم إلى ذلك، ثمّ إنّ الساقي نكل عنه وقبل الخباز الرشوة فسمّ الطعام.

فلمّا حضر وقته وأحضر الطعام، قال الساقي: أيّها الملك لا تأكل فإنّ الطعام مسموم، فقال الخباز: لا تشرب أيّها الملك فإنّ الشراب مسموم، فقال الملك للساقي: اشرب فشربه فلم يضرّه، وقال للخباز: كل من طعامك، فأبى، فجرّب ذلك الطعام على دابّة من الدواب فأكلته فهلكت، فأمر الملك بحبسهما. وكان يوسف لمّا دخل السجن قال لأهله: إنّي أعبر الأحلام، فقال أحد الفتيان لصاحبه: هلمّ فلنجرّب هذا العبد العبراني، فتقرّبا له وسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئاً، قال عبدالله بن مسعود: ما رأى صاحبا يوسف شيئاً، إنّما كانا تحالفا أن يُجرّبا علمه.

روى عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" من أرى عينيه في المنام ما لم تَريا كُلِّف أن يعقد بين شعرتين يوم القيامة، ومن استمع لحديث قوم وهم له كارهون صُبَّ في أُذنه الآنك ".**
وقال قومٌ: كانا رأيا على صحّة وحقيقة،

قال مجاهد: لمّا رأى الفتيان يوسف قالا له: "والله لقد أحببناك حين رأيناك" فقال لهما يوسف: أنشدكما الله أن لا تحباني؛ فإنّه ما أحبّني أحد قط إلاّ دخل عليَّ من حبّه بلاء.

- لقد أحبتني عمّتي فدخل عليّ في حبّها بلاء،
- ثمّ أحبّني أبي فدخل عليَّ بحبه بلاء
- ثمّ أحبتني زوجة الملك هذا، فدخل عليّ بحبّها إيّاي بلاء،

فلا تحبّاني بارك الله فيكما،
قال: فأبيا إلاّ حبّه وأُلفته حيث كان، وجعلا يُعجبهما ما يريان من فهمه وعقله، وقد كانا رأيا حين دخلا السجن رؤيا فأتيا يوسف فقال له الساقي: أيّها العالم إنّي رأيتُ كأنّي غرستُ حبّة من عنب عليها ثلاث عناقيد من عنب فحبستها، وكان كأس الملك بيدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه.
وقال الخبّاز: إنّي رأيتُ كأنّ فوق رأسي ثلاث سِلال فيها الخبز وألوان الأطعمة فإذا سباع الطير تنهش منه، فذلك قوله تعالى: قَالَ أَحَدُهُمَآ يعني بنو إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أي رأيتني، أَعْصِرُ خَمْراً يعني عنباً بلغة عمان، ويدلّ عليه عليه قراءة ابن مسعود أعصرُ عنباً.

قال الأصمعي: أخبرني المعتمر أنّه لقي أعرابياً معه عنب، فقال: ما معك؟ قال: خمر، ومنه يُقال للخلّ العنبي خلُّ خمرة، وهذا على قرب الجوار، قال القتيبي: وقد تكون هي الخمر بعينها كما يُقال: عصرتُ زيتاً وإنّما عصر زيتوناً.

وقال الآخر: وهو مجلِث: إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ أخبرنا تفسيره وتعبيره وما يؤول إليه أمر هذه الرؤيا. إِنَّا نَرَاكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ 36 أي العالِمين الذين أحسنوا، قال الفرّاء وقال ابن اسحاق: إنّا نراك من المحُسنين إلينا إن فعلت ذلك وفسّرت رؤيانا، كما يُقال: افعل كذا وأنت مُحسن.

وروى سلمة بن نبط عن الضحّاك بن مزاحم في قوله: إِنَّا نَرَاكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ما كان إحسانه؟ قال كان إذا مرض رجل في السجن قام إليه، وإذا ضاق وسع له، وإن احتاج جمع له، وسأل له.

قتادة: بلغنا أنّ إحسانه كان يُداوي مريضهم، ويُعزّي حزينهم، ويجتهد لربّه. قيل: لمّا انتهى يوسف إلى السجن وجد فيه قوماً قد انقطع رجاؤهم واشتدّ بلاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول: أبشروا واصبروا تؤجروا، وإنّ لهذا لأجراً وثواباً، فقالوا له: يا فتى بارك الله فيك، ما أحسن وجهك وأحسن خلقك وأحسن حديثك لقد بورك لنا في جوارك بالحبس، إنّا كُنا في غير هذا منذ حبسنا لما تخبرنا به من الأجر والكفارة والطهارة، فمن أنت يا فتى؟ قال: أنا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله إسحاق بن إبراهيم خليل الله، فقال له عامل السجن: يا فتى والله لو استطعت لخلّيت سبيلك، ولكن ما أحسن جوارك

وأحســـن أخبـــارك فكنْ في أي بيـــوت الســـجن شـــئت. فكره يوسف (عليه السلام) أن يعبر لهما ما سألاه لِما عَلِمَ في ذلك من المكروه على أحدهما، فأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره، قال لهما: لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ في نومكما إلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ في اليقظة. هذا قول أكثر المفسّرين، وقال بعضهم: أراد به في اليقظة فقال: لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ تطعمانه وتأكلانه إلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ بتفسيرة قال: إنّه أيّ طعام أكلتم ومتى أكلتُم وكم أكلتُم، فقالا له: هذا من فعل العَرّافين والكَهنة، فقال لهما (عليه السلام): ما أنا بكاهن وإنّما ذٰلِكُمَا العلم مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُمْ بِٱلآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ كرّرهُم على التأكيد. وقيل: هم الأوّل جماد كقوله تعالى: **أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظاماً أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ** [المؤمنون: 35] فصارت الأولى المُلغاة والثانية ابتداء، وكافرون خبره.

وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي فتح ياءه قومٌ وسكّنها آخرون، [فما وفي] أمثالها فالجزم على الأصل والفتح على موافقة الألف استقلّته لأنّها أُخت الفتحة وقرأها الأعمش آبَاي إبْرَاهِيْمَ دُعَاي إلاّ فِرَاراً مقصوراً غير مهموز وفتحَ ياءهما مثل [...].

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ ما ينبغي أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ من صلة، تقديره: أن نشرك بالله شيئاً.

ذٰلِكَ التوحيد والعلم مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ فأراهما يوسف فطنته وعلمه ثمّ دعاهما إلى الإسلام، فأقبل عليهما وعلى أهل السجن وكان بين أيديهم أصناماً يعبودنها فقال إلزاماً للحُجّة يٰصَاحِبَيِ ٱلسِّجْنِ جعلهما صاحبي السجن لكونهما فيـــــه كقولـــــه تعـــــالى لســـــكّان الجنّة **أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ** [الأعراف: 44] ولسكّان النار:

أَصْحَابَ ٱلنَّارِ [الأعراف: 44].

ءَأَرْبَابٌ مُّتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ آلهة شتى لا تنفع ولا تضرّ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ الذي لا ثاني له ٱلْقَهَّارُ قد قهر كلّ شيء، نظيرهـــــــــــــــــا، قولـــــــــــــــــه: **ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ** [النمل: 59] ثمّ بين الحجر والأصنام وضعفها فقال: مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ أي ممّن دون الله، وإنّما قال ما تعبدون وقد ابتدأ الكلام بخطاب الإثنين لأنّه قصد به جميع من هو على مثل حالهما من الشرك، إِلاَّ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ وذلك تسميتهم أوثانهم آلهةً وأرباباً من غير أن تكون تلك التسمية حقيقة، أَنتُمْ وَآبَآؤُكُمْ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ حجّة وبرهان إِنِ ٱلْحُكْمُ القضاء والأمر والنهي، إِلاَّ للَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوۤاْ إِلاَّ إِيَّاهُ نظـــــــــــــــــــــــــــــيره **وَمَآ أُمِرُوۤاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ** [البينة: 5]، ذٰلِكَ الذي دعوتكم إليه من التوحيد وترك

الشرك، ﭐلدِّينُ ﭐلْقَيِّمُ المُستقيم، وَلَـٰكِنَّ أَكْثَـرَ ﭐلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ .

ثمّ فسّر رؤياهما فقال: يٰصَاحِبَيِ ﭐلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا وهو الساقي، فَيَسْقِي رَبَّهُ سيّده يعني الملك خَمْراً وأمّا العناقيد الثلاثة التي رآها فإنّها ثلاثة أيّام، يبقى في السجن ثمّ يُخرجه الملك ويكون على ما كان عليه، وَأَمَّا ﭐلآخَرُ فَيُصْلَبُ وأمّا السلال الثلاث التي رآها فإنّها ثلاثة أيّام، يبقى في السجن ثمّ يخرجه الملك [في] اليوم الرابع فيصلبه، فتأكل الطير من رأسه.
قال ابن مسعود: لمّا سمعا قول يوسف قالا: ما رأينا شيئاً إنّما كنا نلعب، فقال يوسف (عليه السلام): قُضِيَ ﭐلأَمْرُ ﭐلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ أي فُرغ من الأمر الذي عنه تسألان، ووجب حكم الله عليكما بالذي أخبرتكما به.
معلّى بن عطاء عن وكيع بن عدس عن عمه **" أبي رزين العقيلي قال: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إنّ الرؤيا على رجل طائر ما لم تُعبر فإذا عُبِّرت وقعت، وإنّ الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءً من النبوة، فأحسبه قال: لا تقصّه إلاّ على ذي رأي ".**

وأخبرنا عبدالله بن حامد عن إسماعيل بن محمد عن الحسن بن علي بن عفان عن ابن نمير عن الأعمش عن يزيد الرقاشي عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"الرؤيا لأول عابرة".**

وَقَالَ يوسف عند ذلك، لِلَّذِي ظَنَّ علم، أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا وهو الساقي، هذا قول أكثر المفسّرين، وفسّره قتادة على الظن الذي هو خلاف اليقين، وقال: إنّما عبارة الرؤيا بالظنّ ويخلق الله ما يشاء، والقول الأوّل أولى وأشبه بحال الأنبياء، ذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ سيّدك يعني الملك، وقيل له: إنّ في السجن غلاماً محبوساً ظُلماً فَأَنْسَاهُ لشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ يعني أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه عزّ وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بالمخلوق، وتلك غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان، ونسي لهذا ربّه عزّ وجلّ الذي لو به استغاث لأسرع خلاصه ولكنّه [غفل] وطال من أجلها حبسه.

وقال محمد بن إسحاق: الهاء راجعة في قوله فَأَنْسَاهُ لشَّيْطَانُ إلى الساقي فنقول: أنسى الشيطان الساقي ذكر يوسف للملك وعلى هذا القول يكون معنى الآية: فأنساه الشيطانُ ذكره لربه كقوله: خوف **يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ** [آل عمران: 175] أي يخوّفكم بأوليائه.
فَلَبِثَ مكث، فِي لسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ اختلف العُلماء في معنى بضع

- فقال أبو عُبيدة: هو ما بين الثلاثة إلى الخسمة،
- ومجاهد: ما بين الثلاث إلى التسع،
- الأصمعي: ما بين الثلاث إلى التسع،

- وابن عباس: ما دون العشرة،
- وزعم الفـرّاء أنّ البضـع لا يـذكر إلاّ مـع العشـرة والعشرين إلى التسعين،
- وهو نيف ما بين الثلاثـة إلى التسـعة، وقـال: كـذلك رأيتُ العرب تعمل ولا يقولون: بضع ومائـة ولا بضـع وألف، وإذا كانت للذكران قيل: بضعة،
- وأكثر المفسّرين على أنّ البضع في هذه الآية سـبع سنين،
- قال وهب: أصاب أيـوب (عليـه السـلام) البلاء سـبع سنين، وتُرك يوسف في السجن سبع سنين، وعذّب بخت نصّر فحُوِّل في السباع سبع سنين.

روى يونس عن الحسن قال: قال رسول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم:

" رحم اللـه يوسـف، لـولا كلمتـه مـا لبث في السجن طول ما لبث " ،

يعني قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ قال: ثمّ بكى الحسن وقال: نحن إذا نزل بنا أمر نزعنا إلى الناس،

وقال مالك بن دينار: لما قال يوسف للساقي: اذكرني عند ربّـك، قيـل لـه: يـا يوسـف اتّخـذتَ من دوني وكيلا لأطيلنّ حبسـك، فبكى يوسـف (عليـه السـلام) قـال: يـا ربّ إننّي

رابـــني كـــثرة الطـــوى فقلت كلمـــة، فويـــلٌ لأخـــوتي. وحُكي أنّ جبرئيل دخل على يوسف (عليهما السلام)، فلمّا رآه يوسف عرفه وقال: يا أخـا المنـذرين مـا لي أراك بين الخاطئين؟ ، ثمّ قال له جبرئيل: يا طاهر الطـاهرين، يقـرأ عليك السلام ربّ العالمين ويقـول: مالَـكَ؟ أمـا اسـتحييت منّي إذ استغثت بالآدميين؟ ، فوعزّتي لألبثّـك في السـجن بضع سنين،

قال يوسف: وهو في ذلك عليّ راض؟

قال: نعم،

قال إذاً لا أُبالي.

وقال كعب: قال جبرئيل ليوسف: إنّ الله تعالى يقول:

- من خلقك؟ قال: الله،
- قال: فمن حبّبكَ إلى أبيك؟ قال: الله،
- قال فمن أنيسك في البـئر إذ دخلتـه عريـان؟ قـال: الله،
- قال: فمن نجّاك من كُرب البئر؟ قال: الله،
- قال: فمن علّمك تأويل الرؤيا؟ قال: الله،
- قال فكيف استشفعت بآدمي مثلك؟

(واضحي والليل اذا سجي ... الم يجدک يتيما فآوا... الي آخر سورة)

فلمّا انقضت سبع سنين، قال الكلبي وهذه السبعة سوى الخمسة التي كانت قبل ذلك ولمّا دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الأكبر رؤياً عجيبة هائلة وذلك أنّه رأى، إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ خرجن من نهر يابس وَسَبْعُ بَقَرَات عِجَاف أيّ مهازيل فابتلعت العجاف السمان، أكلنهنّ حتى أتين عليهنّ فلم يُرَ منهنّ شيئاً، وَأَرَى سَبْع سُنْبُلات خُضْر قد انعقد حبّها وسبعاً أُخَر يَابِسَات قد استحصدت وأفركت والتفّت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها، فجمع السحرة والكهنة والحازة والقافة وقصّها عليهم وقال: يٰأَيُّهَا ٱلْمَلأُ أي الأشراف أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ فا عبروها، إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ تفسّرون، والرؤيا: الحلم وجمعها رؤى.

قَالُوۤاْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ أي أحلام مختلطة مُشتبهة، أهاويل بأباطيل، واحدها ضغث، وأصله الحزمة من الزرع والحشيش، قال الله تعالى **وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً** [ص: 44] قال ابن مقبل:

خُود كأنّ فراشها وضعت أضغاث ريحان غداه شمال

وقال آخر:

بحُمى ذمار حين قلّ مانعه طاو كضغث الخلا في البطن مُكتمنِ

والأحلام جمع الحُلم وهو الرؤيا والفعل منـه حُلمتُ وأحلمُ، بفتح العين في الماضي، وحلمتهـا في الغـابرة لهـا وحُلمـاً فعـــــــــــاد فحـــــــــــذف يـــــــــــا من حـــــــــــالم.
وَمَـا نَحْنُ بِتَأْوِيـلِ ٱلأَحْلاَمِ بِعَـالِمِينَ ، وَقَـالَ ٱلَّذِي نَجَـا من القتل،
منهما: من الفتيين وهو الساقي،
وَٱدَّكَرَ: أي وتذكر حاجة يوسف قوله: ٱذْكُرْنِي عِنـدَ رَبِّكَ ، بَعْدَ أُمَّةٍ : بعد حين، قراء ابن عباس وعكرمـة والضحّاك [بعد أَمَة] أي بعد نسيان ويُقال أَمَة، يأمَهُ، أمَهاً، إذا نسـي، ورجل [ماهو] أي ذاهب العقل.
وأنشد أبو عبيدة:

أمِهتُ وكنت لا أنسى حديثاً كـذاك الـدّهر يـودي بالعقول

وقرأ مجاهد: أمْه، بسكون الميم وفتح الألف وهاء لخالصة، وهو مثل الأمه أيضاً وهمـا لغتـان ومعناهمـا النسـيان، أَنَـاْ أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِـهِ : أخـبركم بتفسـيره ومـا تـرون فَأَرْسِـلُونِ: فـأطلقوني، وأذنـوا لي أمضـي وأتكم بتأويلـه وفي الآيـة أختصار تقديرها فأرسلون، فأتي السجن، قـال ابن عبـاس لم يكن السجن في المدينة فقال يُوسُفُ يعني يا يوسـف، أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ : فيما عبّرت لنا من الرؤيـا والصـدّيق الكثـير الصديق ولـذلك سُـمّي أبـو بكـر صـدّيقاً، وفعيّـل للمبالغـة والكثرة مثل الفسيّق الضليل والشريب والخمير ونحوها.

أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ : الآية فـإنّ الملـك رأى هـذه الرؤيـــا.
لَّعَلِّيۤ أَرْجِـعُ إِلَى ٱلنَّاسِ أهـل مصـر، لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُـونَ ،

تأويلها، وقيل: لعلّهم يعلمون فضلك وعلمك، فقال لهم يوسف مُعلّماً ومعبّراً: أمّا البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخصبات، والبقرات العجاف والسنبلات اليابسات السنون المهولة المجدبة، وذلك قوله تعالى: تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً أي كعادتكم، وقال: بعضهم أراد بجدَ واجتهاد وقرأ بعضهم دأباً بفتح الهمزة وهما لغتان، يقال دبت في الأمر أدأب دأباً ودأَبَاً إذا اجتهد، قال الفرّاء: وكذلك كلّ حرف فُتح أوّله وسكن ثانية فتثقيله جائز إذ كان ثانيه همزة أو عيناً أوحاء أو خاء أو هاء.

فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ في [بذره] إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ وإنّما أشار عليهم بذلك ليبقى ولا يفسد، ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يعني سبع سنين جدد بالقحط يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ يعني يُؤكل، فيهنّ ما أعددتم لهنّ من الطعام في السنين الخصبة، وهذا كقول القائل

نهارك يا مغرور سهوٌ وغفلة　　وليلك نومٌ والردى لك لازمُ

والنهار لا يسهو والليل لا ينام، وإنّما يُسهى في النهار ويُنام في الليل. إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ أي: تخزنون وخزنون وتدّخرون.
ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ وهذا خبر من يوسف (عليه السلام) عمّا لم يكن في رؤيا الملك، ولكنّه من علم الغيب الذي آتاه الله عزَّ وجلّ، كما قال قتادة: زاده الله

علم سنة لم يسألوه عنها، فقال: ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ أي يمطرون بالغيث وهو المطر، وقيل: يُغاثون، من قول العرب استغثتُ بفلان وأغاثني، وَفِيهِ يَعْصِرُونَ قرأ أهل الكوفة إلاّ عاصماً تعصرون، بالتاء لأنّ الكلام كلّه بالخطاب، وقرأ الباقون بالياء ردّاً إلى الناس، قال أكثر المفسّرين يعصرون العنب خمراً، الزيتون زيتاً، والسمسم دُهناً، وإنّما أراد بعض الأعناب والثمار والحبوب كثرة النعم والخير،

وروى الفرج بن فضالة عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: تعصرون تحلبون،

وقال أبو عبيدة: ينجون من الجدب والكرب، والعصر: المنجى والملجأ، وقال أبو زبيد الطائي:

صادياً يستغيثُ غير مُغاث ولقد كان عصرة المنجود

وأخبرني أبو عبدالله بن فنجويه الدينوري، أبو علي بن حبش المقرئ، أبو القاسم بن الفضل المقرئ، حدّثني أبو زرعة، حدّثني حفص بن عمر، حدّثني أبو جميلة عن عيسى بن عُبيد قال: سمعتُ عيسى بن الأعرج يقرأها فيهِ يُغاثُ الناسُ وفيهِ يُعْصِرُون، برفع الياء قال: قلت: ما يُعصرون؟ قال: المطر أي تمطرون وقرأ

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَاتِ مَآءً ثَجَّاجاً [النبأ: 14].

آيات 50 الي 57

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ
ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱللاَّتِي
قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ 50

* قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ
قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ
ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلآنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدْتُّهُ عَن
نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ ٱلصَّادِقِينَ 51

* ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لاَ
يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَائِنِينَ 52

* وَمَآ أُبَرِّىءُ نَفْسِيۤ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِٱلسُّوۤءِ
إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيۤ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ 53

* وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي
فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ 54

* قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ
عَلِيمٌ 55

* وَكَذٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا
حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُحْسِنِينَ 56

* وَلأَجْرُ ٱلآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ
57

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِ الآية، وذلك أن بنو لمّا رجع إلى الملك وأخبره بما أفتاه به يوسف من تأويل رؤياه كالنهار، وعرف الملك أنّ الذي قال كائن، قال: ائتوني بالذي عبر رؤياي هذه، فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ يوسف، وقال له: أخبر الملك أبى أن يخرج مع الرسول حتى يُظهر عذره وبراءته ويعرف صحة أمره من قبل النسوة فَ قَالَ للرسول ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ أيّ سيّدك يعني الملك فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ والمرأة التي سجنت بسوء فعلها وروى عبدالحميد بن صباح البرجمي ومحمد بن حبيب الشموني عن أبي بكر بن عباس عن عاصم قرأ النسوة بضمّ النون.

إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ إنّ الله تعالى بصنيعهنّ عالم، وقيل: معناه: إنّ سيدي قطفير العزيز عالم ببراءتي ممّا ترميني به المرأة.

قال ابن عباس: فأخرج يوسف يومئذ قبل أن يسلّم الملك لشأنه، فمازالت في نفس العزيز منه شيء يقول: هذا الذي راود امرأتي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لَقَد عَجبتُ من يوسف وكرمه وصبره، والله يغفر له حين سُئل عن البقرات العجاف والسمان، ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشترط أن يخرجوني، ولقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حتى أتاه الرسول فقال ارجع إلى ربّك، ولو كنتُ مكانه ولبث في السجن ما لبثت لأسرعت الإجابة ولبادرتهم الباب، وما ابتغيت الغفران كان حليماً ذا أناة".

قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ : الآية، في الكلام متروك قد استُغني عنه (يدلّ) الكلام عليه، وهو: فرجع الرسول إلى الملك من

عنـد يوسـف برسـالة، فـدعا الملـك النسـوة اللاتي قطّعنَ أيديهنّ وامرأة العزيز فقـال لهنّ: مـا خطبكنّ: مـا شـأنكنّ وأمركنّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ، فأجبنه قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ معاذ الله، مَـا عَلِمْنَـا عَلَيْـهِ مِن سُوءٍ قَـالَتِ امْـرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أيّ ظهر وتبيّن والأصـل فيـه: حصّ وقيل: حصّص، كمـا قيـل: كبكبـوا في كبـوا، وكفكـف في كـفّ، وردد في ردّ، وأصـل الحَصِ استئصـال الشـيء، يقال حصَّ شـعره إذا استأصـله جَـزّاً، وقـال أبـو قيس ابن الأصلت:

قد حصّـت البَيضـة رأسي فما أطعم نومـــــاً غير تهجاع

وتعني بالآن حصحص الحقّ: ذهب الباطل والكذب وانقطع وتين الحـق فظهـر وبهـر أَنَـاْ رَاوَدْتُّهُ عَن نَّفْسِـهِ فتنتُـه عن نفســـه، وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّـــادِقِينَ في قولـــه: هِيَ رَاوَدَتْنِي. 12.26

فلمّا سمع ذَٰلِكَ يوسف، قـال: ليعلم ذلـك الـذي [مضـى] من ردّي رسول الملك في شأن النسوة لِيَعْلَمَ العزيز.

أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ في زوجته بِالْغَيْبِ في حال غيبتي عنه وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ واتّصل قول يوسف: ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ بقول المرأة: أَنَـاْ رَاوَدْتُّهُ عَن نَّفْسِـهِ من غـير تبـيين، وفـرّق بينهمـا لمعرفـة السـامعين معنـاه، كاتّصال قول الله تعالى:

وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ [النمل: 34] بقول بلقيس:

وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً [النمل: 34] وكذلك قول فرعون لأصحابه: **فَمَاذَا تَأْمُرُونَ** [الشعراء: 35] وهو متّصل بقول الملأ: **يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ** [الشعراء: 35].

روى أبو عُبيدة عن الفراء أنّه قال هذا من أغمض ما يأتي في الكلام أنّه حكى عن رجل شيئاً ثمّ يقول في شيء آخر من قول رجل آخر لم يجر له ذكر. وحدّثنا الحسين بن محمد بن الجهمين، عبدالله بن يوسف بن أحمد بن علي قال: حدّثنا علي بن الحسين بن مجلز، قال الحسن بن علي البغدادي، خلف بن تيم عن عطاء بن مسلم عن الخفاف عن جعفر بن نوفان عن ميمون بن مهران عن عبدالله بن عمر أنّ علي بن أبي طالب أتى عثمان وهو محصور فأرسل إليه السلام وقال إنّي قد جئتُ لأنصرك فأرسل إليه بالسلام وقال: جزاك الله خيراً، لا حاجة في قتال القوم، فأخذ عليّ عمامته عن رأسه، فنزعها فألقاها في الدار ثمّ ولّى وهو يقول ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَائِنِينَ .

قال أهل التفسير: لما قال يوسف هذه المقالة قال له جبرئيل: ولا حين هممت بها؟ فقال عند ذلك يوسف وَمَآ أُبَرِّىءُ نَفْسِيۤ من الخطأ والزلل فاركبها، إِنَّ ٱلنَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِٱلسُّوۤءِ بالمعصية إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيۤ يعني إلاّ من رحمه ربي فعصم،

و مَآ بمعنى مَن كقوله تعالى **فَٱنكِحُواْ مَـا طَـابَ لَكُمْ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ** [النساء: 3]أي مَن طاب، وقوله إلاّ اسـتثناء منقطع عمّا قبله كقولـه تعـالى: **وَلاَ هُمْ يُنقَـذُونَ * إِلاَّ رَحْمَةً مِّنَّا** [يس: 43-44]يعـني إلاّ أن يُرحمـوا، فـإنّ إذا كانت في معنى المصدر تضارع ما.

إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ، فلمّـا تـبيّن للملـك [حـق] يوسـف وعرف أمانته وعلمه، قال: ٱئْتُونِي بِـهِ أَسْتَخْلِصْـهُ لِنَفْسِـي أجعله خالصاً لي دون غيره، فلمّا جاء الرسول يوسف قال له: أجب الملك، الآن، فخـرج يوسـف ودعـا لأهـل السـجن بـدعوة تعـرف إلى اليـوم وذلـك أنّـه قـال: اللهمّ اعطـف عليهم بقلـــوب الأخيـــار وأنعم عليهم الأخبـــار، فهم أعلم الناس بالأخبار في كلّ بلدة، فلمّـا خـرج من السـجن كتب على باب السجن: (هذا قبر الأحياء وبيت الأحـزان وحرقـة الأصدقاء وشماتة الأعداء)،

ثمّ اغتسل يوسف (عليه السلام) وتنظّف من قذر السجن، ولبس ثياباً جدداً حساناً، وقصد الملك.

قال وهب: فلمّا وقف بباب الملك قال (عليه السلام):

حسبي ربي من دُنياي، وحسبي ربّي من خلقه، عـزّ جـاره، وجلّ ثناؤه ولا إله غيره.

ثمّ دخل الدار، فلمّا دخل على الملك قال:

اللهمّ إنّي أسألك عـزّك من خـيره، وأعـوذ بـك من شـرّه وشرّ غيره،

فلمّا نظر إليه الملك سلّم عليه يوسف بالعربية، فقال لـه: الملك، ما هذا اللسـان؟ قـال: لسـان عمّي اسـماعيل، ثمّ دعا له بالعبرانية، فقال له الملك: مـا هـذا اللسـان؟ قـال: لسان آبائي.

قال وهب: وكان الملـك يتكلّم بسـبعين لسـاناً، فكلّمـا كلّم يوسف بلسان أجابه يوسف بذلك اللسان، فأجابـه الملـك، فأعجب الملك ما رأى منه، وكان يوسف يومئــذ ابن الاثين سنة، فلمّا رأى الملك حداثة سنة، قال لمن عنده: إنّ هـذا علم تأويل رؤياي ولم يعلمه السـحرة والكهنـة، ثمّ أجلسـه على سريره،

وقال له: إنّي أحبّ أن أسمع رؤياي منك شفاهاً،

فقال له يوسف: نعم، أيّها الملك، رأيت سبع بقرات سمان هب غرّ حسان، كشف لـك عنهنّ النيـل وطلعن عليـك من شــاطئه تشــخب أخلافهنّ لبنــاً، فبينــا أنت تنظــر إليهنّ وتتعجّب من حسنهنّ إذ نضب النيل فغار ماؤه وبـدا يبسـاً، فخرج من حمأته ووحلـه سـبع بقـرات عجـاف شُـعث غُـبر مقلّصــات البطــون، ليس لهُنّ ضــروع ولا أخلاف، ولهنّ أنياب وأضراس وأكـفّ كـأكف الكلاب خـراطيم كخـراطيم السباع، فاختلطن بالسـمان فافترسـنهنّ افـتراس السـبع، فــأكلن لحــومهنّ ومــزّقنَ جلــودهنّ وحطّمن عظــامهنّ

وتشمشـــــــــــــــــــــــن مخِّهنّ.
فبينا أنت تنظر وتتعجّب وإذا بسبع سنابل خضر وسبع أُخـر سود في منبت واحد عروقهنّ في الثرى والماء، فبينـا أنتَ تقول في نفسك: أنّى هذا؟ هـؤلاء خضـر مثمـرات وهـؤلاء سود يابسات والمنبت واحـد، وأصـولهنّ في المـاء إذ هبّت ريح ذرّت الأوراق من اليابســـات الســـود على الخضـــر المثمرات فاشتعلت فيهنّ النـار فـاحرقتهنّ وصـرنَ سـوداً متغيّرات.

فهذا آخر ما رأيت من الدنيا ثمّ انتبهت من نومك مذعوراً،

فقال الملك: والله ما شـأن هـذه الرؤيـا وإن كـانت عجبـاً بـأعجب ممّـا سـمعته منـك، فمـا تـرى في رؤيـاي أيّهـا الصدّيق؟

فقال يوسف: أرى أن تجمع الطعام، وتـزرع الـزرع الكثـير في هـذه السـنين المخصـبة وتبـني [الأهـواء] والخـزائن، فتجعل الطعام فيها بقصبه وسـنبله ليكـون قصـبه وسـنبله علفاً للدواب، وتأمر الناس فيرفعون من طعـامهم الخمس فيكفيك من الطعام الذي جمعته لأهـل مصـر ومن حولهـا، وتأتيك الخلق من النواحي يمتـارون منـك، ويجتمـع عنـدك من الكنوز مالم يجتمع لأحد قبلك، فقـال الملـك: ومن لي بهـذا ومن يجمعـه و[يبيعـه] ويكفي الشـغل فيـه؟ فقـال: يوسـف ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَـزَآئِنِ ٱلأَرْضِ﴾ مجـاز الآيـة: على خزائنّ أرضك وهي جمع الخزانة فدخلت الألف واللام خلفاً من الإضافة، كقول النابغة: والأحلام غيرُ كواذب.

إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ: كاتب حاسب، قتادة: حفيظ لما وليت، علهم بأمره، ابن اسحاق: حفيظ لما استودعتني، عليمٌ بما وليّتني، شيبة الضبي: حفيظ لما استودعتني وعليمٌ بسنيّ المجاعة، الأعشى: حافظ للحساب عليم بالألسن أعلم لغة من سألني، الكلبي: حفيظ التقدير في هذه السنين الجدبة، عليمٌ بوقت الجوع متى يقع، وقيل: حفيظ لما وصل إليّ عليم بحسابة المال، فقال له الملك: ومَن أحقّ به منك؟ فولاّه ذلك، وَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ذو مكانة ومنزلة، أمين على الخزائن، روى جويبر عن الضحّاك عن ابن عباس أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

رحم الله أخي يوسف لو لم يقل: اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكنّه أخّر ذلك سنة فأقام عنده في بيته سنة مع الملك. "

روى سفيان عن أبي سنان عن عبدالله بن أبي الهذيل، قال: قال الملك ليوسف: إنّي أُريد أن تخالطني في كلّ شيء غير أنّي آنف أن تأكل معي، فقال يوسف (عليه السلام): أنا أحقّ أن آنف، أنا ابن يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله، فكان يأكل بعدئذ معه.

روى حمزة الريّان عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة، قال: لما رأى العزيز رأي يوسف وظرفه دعاه وكان يتغدّى ويتعشى معه دون غلمانه، فلمّا كان بينه وبين المرأة ما كان، قالت له مرّة: فليتغدّ مع الغلمان، فقال: اذهب فتغدّ

مع الغلمان فقال له يوسف في وجهه استنكفتَ أن تأكل معي، أنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ابن إسحاق ذبيح الله إبن إبراهيم خليل الله.
روى مقاتل عن يحيى بن أبي كثير أنّ عمر بن الخطاب عرض على أبي هريرة الإمارة فقال: لا أفعل ولا أريدها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **" من طلب الإمارة لم يعدل "** فقال عمر: لقد طلب الإمارة من هو خير منك، يوسف (عليه السلام)، قال: اجعلني على خزائن الأرض.

روى بن اسحاق عن الضحاك عن ابن عباس قال: لما انصرمت السنة من يوم سأل الإمارة دعاه الملك فتوَّجَهُ ورَدَّأَهُ سيفه، ووضع له سريراً من ذهب، مكلّلا بالدرّ والياقوت، وضرب عليه حلّة من استبرق، وكان طول السرير ثلاثين ذراعاً وعرضه عشرة أذرع، عليه ثلاثون فراشاً وتسعون مرفقة، ثمّ أمره أن يخرج فخرج متوّجاً، لونه كالثلج ووجهه كالقمر، يرى الناظر وجهه في صفاء لون وجهه، فانطلق حتى جلس على السرير ودانت له الملوك، ودخل الملك بيته مع نسائه، وفوّض إليه أمر مصر، وعزل قطفير عمّا كان عليه وجعل يوسف مكانه.

قال ابن اسحاق: قال ابن زيد: وكان لفرعون ملك مصر خزائن كثيرة غير الطعام، فسلّم سلطانه كلّه إليه، وجعل أمره وقضاءه نافذاً، ثمّ أنّ قطفير هلك في تلك الليالي فزوّج الملك يوسف راحيل إمرأة قطفير، فلمّا دخل عليها

قـال: أليس هـذا خـيراً ممـا كنتِ تريـدين؟ فقـالت: أيّهـا الصدّيق لا تلمني فإنّي كنتُ امرأة حسناء ناعمة كما تـرى، في ملك ودنيـا وكـان صـاحبي لا يـأتي النسـاء، وكنتَ كمـا جعلك الله في حُسـنك وهيئتـك فغلبتـني نفسـي، فوجـدها يوسـف عـذراء فأصـابها فولـدت لـه رجلين: أفـرائيم بن يوسف ومنشا بن يوسف.

واستوسق ليوسف ملـك مصـر وأقـام فيهم العـدل فأحبّـه الرجال والنساء فذلك قولـه تعـالى: وَكَـذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُـفَ فِي ٱلأَرْضِ يعـني أرض مصـر: أي مكّنـاه يَتَبَـوَّأُ مِنْهَـا أين نزل حَيْثُ يَشَآءُ : ويصـنع فيهـا مـا يشـاء، والبـواء المـنزل يقال: بوّأته فتبوّأ، وقرأ أهل مكّـة: حيث نشـاء بـالنون ردّاً على قولـه مكّنـا وبعـده، نُصِـيبُ بِرَحْمَتِنَـا مَن نَشَـآءُ أي بنعمتنا.

وَلاَ نُضِـيعُ أَجْـرَ ٱلْمُحْسِـنِينَ قـال ابن عبـاس ووهب: يعـني الصابرين كصـبره في البـئر، وصـبره في السـجن وصـبره في الـرق، وصـبره عمـا دعتـه اليـه المـرأة، قـال مجاهـد وغيره: فلم يزل يدعو ويتلطف له حتى أسلم الملك وكثير من الناس فهذا في الدنيا وَلأَجْـرُ ٱلآخِـرَةِ [نعيم] الآخـرة خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ قال البحتري:

أمـا في رسـول اللـه يوسف أسوة **لمثلك محبوساً [....]**

أقام جميل الصـبر في الحبس برهة **فـآلَ بـه الصـبرُ الجميلُ إلى الملك**

وكتب بعضهم إلى صديق له:

وراء مضـيق الخـوف **وأوّل مفروح به آخـر**

مُتّسعُ الأمنِ الحُزن
فلا تيأسَنْ فاللــه مَلَّك يوسفاً خزائنــه بعــد الخلاص من السجن

58 الي 71

وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ 58

* وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ ٱلْمُنْزِلِينَ 59

* فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ 60

* قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ 61

* وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنْقَلَبُوۤاْ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ 62

* فَلَمَّا رَجِعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُواْ يٰأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ 63

* قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ 64

* وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَـاعَهُمْ وَجَـدُواْ بِضَـاعَتَهُمْ رُدَّتْ
إِلَيْهِمْ قَالُواْ يٰأَبَانَا مَا نَبْغِي هَـٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا
وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَـزْدَادُ كَيْـلَ بَعِـيرٍ ذٰلِـكَ
كَيْلٌ يَسِيرٌ 65

* قَالَ لَنْ أُرْسِـلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُـونِ مَوْثِقـاً مِّنَ
اللَّهِ لَتَـأْتُنَّنِي بِـهِ إِلاَّ أَن يُحَـاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ آتَـوْهُ
مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ 66

* وَقَالَ يٰبَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُـواْ
مِنْ أَبْـوَابٍ مُّتَفَرِّقَـةٍ وَمَـآ أُغْنِي عَنكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن
شَـيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للَّهِ عَلَيْـهِ تَـوَكَّلْتُ وَعَلَيْـهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ 67

* وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَـرَهُمْ أَبُـوهُم مَّا كَـانَ
يُغْنِي عَنْهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن شَـيْءٍ إِلاَّ حَاجَـةً فِي
نَفْسِ يَعْقُـوبَ قَضَـاهَا وَإِنَّهُ لَـذُو عِلْمٍ لِّمَـا عَلَّمْنَـاهُ
وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ68

* وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ
إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ 69

* فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ
أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ 70

* قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِمْ مَّاذَا تَفْقِدُونَ 71

قالوا: فلمّا أطمأنّ بيوسف ملكه دخلت السنون المخصبة، ودخلت السنون المجدبة أصاب الناس الجوع وجاءت تلــك السنون [.......] وكان ابتداء القحط، بينا الملــك ذات ليلــة أصابه الجوع نصف الليل، وهتف الملك: يـا يوسـف الجـوع الجوع فقال: هذا أوّل القحط،

فلمّا دخلت السنة الأُولى من سنيّ الجدب هلـك فيهـا كـلّ شيء أعدّوه في السنين المخصبة،

فجعل أهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف، فبـاعهم أوّل سـنة بـالنقود حـتى لم يبـق في مصـر دينـار ولا درهم إلاّ قبضه، وباعهم في السنة الثانية بالحُليّ والجواهر حـتى لم يبق في أيدي النـاس منهـا شـيء، وبـاعهم بالسـنة الثالثـة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها أجمع،وباعهم بالسنة الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق عبد ولا أَمَة في يد أحــد منهم، ثمّ باعهم السنة الخامسـة بالضـياع والعقـار والـدور حتى احتوى عليها، وباعهم السنة السادسة بـأولادهم حـتى استرقّهم، وباعهم السـنة السـابعة برقـابهم حـتى لم يبـق بمصر حر ولا حُرّة إلاّ صار عبداً له، حتى قال الناس: تاللــه مـا رأينـا كـاليوم ملكـاً أجـلّ ولا أعظم من هـذا، ثمّ قـال يوسف لفرعون كيف رأيت صـنيع ربّي فيمـا خوّلـني، فمـا ترى لي؟ قال الملك: الرأي رأيك، وإنّما نحن لك تبع، قال: فإنّي أشـهد وأشـهدك أنّي أعتقتُ أهـل مصـر عن آخـرهم ورددتُ عليهم أمـــــــــــــــــوالهم أملاكهم. وروي أنّ يوسف (عليـه السـلام) كـان لا يشـبع من طعـام

في تلـك الأيّـام، فقيـل لـه: تجـوع وبيـدك خـزائن الأرض، فقال: أخـاف أن شـبعتُ أن أنسـى الجـائع، وأمـر يوسـف أيضاً طباخي الملـك أن جعلـوا الغـداة نصـف النهـار، وأراد بـذلك أن يـذوق الملـك طعم الجـوع فلا ينسـى الجـائعين، ويُحسـن إلى المُحتـاجين، ففعـل الطهـاة ذلـك، ومن ثمّ جعلت الملـوك غـداءهم نصـف النهـار.
قالوا: وقصد الناس مصر من كـلّ حـدب يمتـارون، فجعـل يوسف لا يمكّن أحداً منهم وإن كان عظيماً بأكثر من حمل بعـير تقسـيطاً بين النـاس وتوسّـعاً عليهم،وتـزاحم النـاس عليه، قالوا: وأصاب أرض كنعـان وبلاد الشـام من القحـط والشـدّة مـا أصـاب سـائر البلاد، ونـزل بيعقـوب مـا نـزل بالناس فأرسل بنيه إلى مصر للميرة، فأمسك بنيامين أخـا يوسف لأُمّه فذلك قوله تعالى: وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُـفَ وكـانوا عشرة، وكان مـنزلهم بالقربـات من أرض فلسـطين ثغـور الشام، وكانوا أهل بادية وإبل وشاة فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ يوسف وأنكروه لما أراد الله أن يبلغ يوسف فيما أراد.

قـال ابن عبـاس: وكـان بين أن قـذفوه في البـئر وبين أن دخلوا مصـر أربعين سـنة فلـذلك أنكـروه وقيـل: إنّـه كـان مُتّزياً بزيّ فرعون مصـر، عليـه ثيـات حريـر، جـالس على سـريره، وفي عنقـه طـوق من ذهب، وعلى رأسـه تـاج، فلـذلك لم يعرفـوه، وكـان بينـه وبينهم سـتر ولـذلك لم يعرفوه.

قــال بعض الحكمــاء: المعصــية تــورث الكــبرة، قــال اللــه تعالى: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ فلمّا نظــر إليهم يوســف وكلّمــوه بالعبرانيــة، قــال لهم: أخــبروني من أنتم؟ ومــا أمــركم؟ فــإنّي أنظــر شــأنكم، قــالوا: نحنُ قــومٌ من أهــل الشام رُعاة أصابنا الجهد فجئنــا نمتــار، قــال: لعلّكم عيــون تنظرون عورة بلادي، قالوا: والله ما نحن جواسيس وإنّمــا نحن إخوة بنو أب واحد وهو شيخ صدّيق يُقال له: يعقــوب، نبي من أنبياء الله، قال: وكم أنتم؟

قالوا: كُنّا إثني عشر فذهب أخٌ لنا إلى البريّــة فهلــك فيهــا، وكان أحبّنا إلى أبينا، فقال: فكم أنتم ها هنا، قالوا: عشره، قال: فأين الآخر؟ قالوا: عنــد أبينــا لأنّــه أخ الــذي هلــك من أُمّه، وأبونا يتســلّى بــه، قــال: فمن يعلم أنّ الــذي تقولــون حقّ؟ قالوا: أيّها الملك إنّا ببلاد لا يعرفنا أحد، قال يوســف: فــأتوني بــأخيكم الــذي من أبيكم إن كنتم صــادقين، فأنــا أرضى بذلك. قالوا: إنّ أبانا يحــزن على فراقــه وســنراوده عنه وإنّا لفاعلون،

قــال: فــدعوا بعضــكم عنــدي رهينــة حــتى تــأتوني بــأخيكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعــة شــمعون وكــان أحســنهم رأيــاً في يوســف وأبــرّهم بــه فخلّفــوه عنــده، فــذلك قولــه تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ يعني حمل لكــل رجــل منهم بعــيراً بعــدّتهم، ﴿قَــالَ ائْتُــونِي بِــأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ يعــني بنيامين، ﴿أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ أي لا أبخس النــاس شيئاً وأُتمّ لهم كيلهم فأزيد لكم حمــل بعــير في خــراجكم،

وأكــرم ثــواكم، وأُحســن إليكم، وَأَنَــاْ خَيْــرُ الْمُنْــزِلِينَ المُضــــــــــــــــــــــــــــــــــــيّفين.
فَإِن لَّمْ تَـأْتُونِي بِـهِ فَلاَ كَيْـلَ لَكُمْ عِنـدِي ليس لكم عنـدي طعام أكيلـه لكم وَلاَ تَقْرَبُـونِ ولا تقربـوا بلادي بعـد ذلـك، وهو جزم يدلّ على النهي.

قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ نطلبه ونسأله أن يُرسله معنا، قال ابن عباس: سنخدعه حتى نخرجه معنا، وَإِنَّا لَفَـاعِلُونَ مـا أمرتُ به.

وَقَالَ لِفِتْيَانِـهِ أي لغلمانـه الـذين يعملـون بالطعـام، قـرأ الحســن وحميــد ويحــيى والأعمش وحمــزة والكســائي وحفص، لفتيانـه بـالألف والنـون وهـو اختيـار أبي عبيـدة، وقال: هي في مصحف عبدالله كذلك، وقرأ الباقون لفتيته بالتاء من غير ألف وهما لغتان مثل الصبيان والصبية.

اجْعَلُــواْ بِضَــاعَتَهُمْ أي طعــامهم، قــال قتــادة: أوراقهم، الضـحّاك عن ابن عبـاس قـال: كـانت النعـل والأدم، فِي رِحَالِهِمْ في أوعيتهم وهي جمع رحل، والجمع القليـل منـه الرحيل، قال ابن الأنباري: يقـال للوعـاء: رَحـل وللمسـكن رحــل.
لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَــآ إِذَا انْقَلَوُاْ انصــرفوا، إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُــونَ إليّ واختلـف العُلمـاء في السـبب الـذي فعـل يوسف من أجله،

- فقال الكلبي: تخوّف يوسف أن لا يكون عند أبيه من الورق فلا يرجعون مرّة أخرى،
- وقيل: خشي أن يضرّ أخذه ذلك منهم بأبيه؛ إذ كانت السنة سنة جدب وقحط، فأحبّ أن يرجع إليه، وإنّما أراد أن يتّسع به أبوه،
- وقيل: رأى لو أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته مع حاجتهم إليه فردّه عليهم من حيث لا يعلمون تكرّماً وتفضّلا.
- وقيل: فعل لأنّه علم أنّ ديانتهم وأمانتهم تحملهم على ردّ البضاعة ولا يستحلّون إمساكها فيرجعون لأجلها،
- وقيل: أبدا لهم كرمه في ردّ البضاعة وتقديم الضمان في البرّ والإحسان ليكون أدعى لهم إلى العود إليه طمعاً في برّه.

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰأَبَانَا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة، لو كان رجلا من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته، قال لهم يعقوب: إذا أتيتم ملك بمصر فاقرؤوه منّي السلام وقولوا له: إنّ أبانا يُصلّي عليك ويدعو لك بما أوليتنا، ثمّ قال: أين شمعون؟ قالوا: إنّه عند ملك مصر وأخبروه بالقصّة، فقال: ولم أخبرتموه؟ قالوا: إنّه أخذنا وقال: إنّكم جواسيس عندما كلّمناه بلسان العبرانيين، وقصّوا عليه القصّة.

مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا بنيامين نَكْتَلْ قرأ يحيى والأعمش وحمزة والكسائي يكتل بالياء يعني يكتل لنفسه هو كما كنّا نكتل نحن، وقرأ الآخرون بالنون بمعنى نكتل نحن، واختاره أبو عبيد وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ يعقوب، قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ يوسف مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً قرأ ابن محصن ويحيى والأعمش

وحمزة والكسائي: حافظاً بـالألف على التميـيز والتفسـير، كما يُقال: هو خيرٌ رجلا، ومجاز الآية خيركم حافظاً فحـذف الكـاف والميم، ويـدلّ عليـه أنّهـا مكتوبـة في مصـحف عبداللـــــــه: واللـــــــه خــــــــيرُ الحـــــــــافظين. وقـرأ الآخـرون حفظـاً بغـير الألـف على المصـدر بمعـنى خــيركم حفظــاً واختلــفَ فيــه عن عاصــم وَهُــوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ .

وَلَمَّا فَتَحُـواْ مَتَـاعَهُمْ الـذي حملـوه من مصـر وَجَـدُواْ بِضَاعَتَهُمْ ثمن الطعام رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَـالُواْ يٰأَبَانَـا مَـا نَبْغِي أي مـاذا نبغي؟ وأي شـيء نطلب وراء هـذا؟ أوفى لنـا الكيـل وردّ علينا الثمن، أرادوا بذلك أن يُطيّبوا نفس أبيهم، و مَـا استفهام في موضع نصب ويكون معناه جحداً كأنّهم قالوا: لســــــــــــنا نُريــــــــــــــد منــــــــــــك دراهم. هَـٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ونشتري لهم الطعـام فنحمله إليهم، يقال مار أهله يَمير مَيراً فهو ماير، إذا حمل إليهم أقواتهم من غير بلده في مثلـه امتـار يمتـار امتيـاراً، قال الشاعر:

بعثتــك مــائراً متى يأتي غياثـك
فمكثت حولا من تغيثُ

وقال آخر:

أتى قريــةً كــانت كعفـر التُـراب كـل
كثيراً طعامها شيء يميرها

وَنَحْفَظُ أَخَانَا بنيامين وَنَزْدَادُ على أحمالنا كَيْلَ بَعِيرٍ لنـا من أجله ذٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ: لا مؤونة فيـه ولا مشـقّة، وقـال مجاهد: كيل بعير يعني: حمل حمار، قـال: وهي لغـة يُقـال للحمــار بعــير، قَــالَ لهم يعقــوب: لَنْ أُرْسِـلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُـونِ تعطـوني مَوْثِقـاً مِّنَ ٱللَّهِ يعـني تحلفـوا لي بحـقّ محمّد خاتم النبيين وسيد المُرسـلين أن لا تغـدروا بـأخيكم

لَتَأْتُنَّنِي بِهِ وإنّما دخلت فيـه اللام لأنّ معـنى الكلام اليمين إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ إلاّ أن تهلكوا جميعاً، قالـه مجاهـد، وقـال قتادة: إلاّ أن يُغلبوا حتى لا يطيقوا ذلك.
 فَلَمَّآ آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ أعطوه عهودهم،
وقال جويبر عن الضحّاك عن ابن عبـاس: حلفـوا لـه بحـقّ محمد صلى الله عليه وسلم ومنزلته من ربّه قَالَ يعقوب اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ أي شاهد وحافظ بالوفاء،
وقال القتيبي: كفيل،
وقال كعب: لمّا قال يعقوب: فالله خيرٌ حافظـاً، قـال اللـه جلّ ذكره: وعزّتي لأردّن عليك كليهما بعـدما تـوكّلت عليّ، وقال لهم يعقوب لما أرادوا الخـروج [هـذا]، وَقَـالَ يٰبَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مصر مِن بَـابٍ وَاحِـدٍ وَادْخُلُـواْ مِنْ أَبْـوَابٍ مُّتَفَرِّقَـةٍ وذلك أنّه خاف عليهم العين لأنّهم كانوا ذوي جمـال وهيئـة وصـور حسـان وقامـات ممتـدّة، وكـانوا ولـد رجـل واحـد، وأمرهم أن يفترقوا في دخولهـا ثمّ، قـال: وَمَـآ أُغْنِي عَنكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ علم (عليه السلام) أنّ المقـدور كـائن، وأنّ الحذر لا ينفع من القدر، وما أغـني عنكم من اللـه من شـيء إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للَّهِ عَلَيْـهِ تَـوَكَّلْتُ وَعَلَيْـهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُـونَ وإلى اللـه فليفـوّض أمـورهم المفوّضـون.
 وَلَمَّا دَخَلُـواْ مِنْ حَيْثُ أَمَـرَهُمْ أَبُـوهُم وكـان لمصـر أربعـة أبـواب فـدخلوها من أبوابهـا كلّهـا، مَّا كَـانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن شَـيْءٍ صـدّق اللـه تعـالى يعقـوب فيمـا قـال إِلاَّ حَاجَةً حزازة وهمّة في نفس يعقوب قَضَاهَا أشفق عليهم إشفاق الآباء على أبنـائهم وَإِنَّهُ يعقـوب لَـذُو عِلْمٍ لِّمَـا : أي مما عَلَّمْنَاهُ يعني لتعليمنا إيّاه، قالـه قتـادة، وروى سـفيان عن (ابن) أبي عـروة قـال: إنّـه العامـل بمـا علم، قـال سفيان: من لا يعمل لا يكون عالماً، وقيل: إنّه لذو حظّ لِما علّمنـــــــــــــــــــــــــاه.

وَلَـٰــكِنَّ أَكْثَــرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُــونَ مــا يعلم يعقــوب، أي لا يعرفـــــــــــــــون مرتبتـــــــــــــــــه في العلم.
وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ قالوا: هـذا أخونـا الـذي أمرتنـا أن نأتيـك بـه، قـد جئنـاك بـه فقـال لهم: أحسـنتم وأصـبتم وسـتجدون ذلـك عنـدي، ثمّ أنــزلهم فــأكرم مــنزلهم ثمّ أضافهم وأجلس كلّ اثنين منهم على مائـدة فبقى بنيـامين وحيداً، فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيّاً لأجلسني معه، فقـال لهم يوسـف (عليـه السلام): لقـد بقي هـذا أخـوكم وحيـــداً، فأجلســـه على مائدتـــه فجعـــل يُؤاكِلـــه.
فلمّا كان الليل أمرَ لهم بمثـل أي فـرش، فقـال: لينم كـلّ أخـوين منكم على مثـال، فلمّـا بقي بنيـامين وحـده، قـال يوسف (عليه السلام): هذا ينـام معي على فراشـي فبـات معه فجعـل يوسـف يضـمّه إليـه ويشـمّ خـدّه حـتى أصـبح فجعل روبيل يقول: ما رأينا مثل هذا، فلمّا أصبح قال لهم: إنّي أرى هذا الرجل الذي جئتم به ليس معه ثان فسأضمّه إليّ فيكون منزله معي، ثمّ أنـزلهم [معـه]، وأجـرى عليهم الطعام والشراب وأنزل أخاه لأمّه معه فذلك، قوله تعالى: " آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ."
فلمّا خلا به قال له: ما اسمك؟
قال: بنيامين.
قال ابن من يا بنيامين؟
قال: ابن المثكل، وذلك أنّه لما ولد هلكت أُمّه،
قال: وما اسمها؟ قال: راحيل بنت لاوي بن ناحور،
قال: فهل لك بنون؟ قال: نعم، عشر بـنين وقـد اشـتققتُ أسماءهم من اسم أخ لي من أُمّي هلك،
قــال: لقــد اضــطرّك إلى ذاك حــزن شــديد، قــال: فمــا سمّيتهم؟ قـال: بالعـا وأحـيرا وأثكـل وأحيـا وكـنر (كثـير؟) ونعمان وادر وأرس وحيتم وميثم،

قال فما هذه؟ قال:

- إما بالعاً فإنّ أخي قد ابتلعته الأرض،
- وأما أخيرا فإنّه بكر أبي لأُمّي،
- وأمّا أثكل فإنّه كان أخي لأبي وأُمي وسنّي،
- وأما كثير فإنّه خير حبيب كان،
- وأمّا نعمان فانه ناعمٌ بين أبويه
- وأمّا أدّر فإنّه كان بمنزلة الورد في الحُسن،
- قال: وأما أرس فإنّه كان بمنزلة الرأس من الجسد،
- وأما حيتم فأعلمني أنّه حيّ،
- وأمّا ميثم فلو رأيته قرّت عيني.

فقال يوسف: أتُحبّ أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟

فقال بنيامين: ومن يجد أخاً مثلك؟ ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل،

فبكى يوسف (عليه السلام) وقام إليه وعانقه و قَالَ لـه: إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ يوسف فَلاَ تَبْتَئِسْ فلا تحزن بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ."

لشيء فعلوه بنا فيما مضى؛

فإنّ الله قد أحسن إلينا ولا تُعلمهم شيئاً ممّا علمت.

وقال عبدالصمد بن معقل: سمعت وهب بن منبه وسئل عن قول يوسف لأخيه: إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ ، فقيل له كيف آخاه حين أخذ بالصواع وقد كان أخبره أنّه أخوه، وأنتم تزعمون أنّه لم يزل متنكّراً لهم يكابرهم حتى رجعوا؟ فقال: إنّه لم

يعـترف لـه بالنسـبة ولكنّـه قـال: أنـا أخـوك مكـان أخيـك الهالك،

ومثله قال الشعبي، قـال: لم يقـل لـه: أنـا يوسـف، ولكن أراد أن يُطيّب نفسه.

ومجاز الآية أي: أنا أخـوك بـدل أخيـك المفقـود فلا تبـتئس بما كانوا يعملـون فلا تشـتكِ ولا تحـزن لشـيء سـلف من أخوتك إليـك في نفسـك وفي أخيـك من أُمّـك، ومـا كـانوا يفعلـون قبـل اليـوم بـك، ثمّ أوفى يوسـف لإخوتـه الكيـل وحمل لهم بعيراً، وحمل لبنيامين بعـيراً باسـمه كمـا حَمـل لهم، ثمّ أمر بسقاية الملك فجعل في رحـل بنيـامين، قـال السـدّي: جعـل السـقاية في رحـل أخيـه، والأخ لا يشـعر.

قال كعب: لما قال له: إني أنا أخوك قال بنيامين:

فأنـا لا أفارقـك، قـال يوسـف (عليـه السـلام): قـد علمتُ [عنهم] والدي بي، فإذا حبستك ازداد غمه، فلا يمكنني هذا إلاّ أن أشهرك بأمر وأنسبك إلى مـا لا يجمـل بـك، قـال: لا أُبالي فافعل ما بدا لك فإنّي لا أُفارقك.

قال: فـإنّي أدسُّ صـاعي هـذا في رحلـك ثمّ أُنـادي عليـك بالسـرقة لجهـازي ليتهيـأ لي ردك بعـد تسـريحك، قـال: فافعل، فذلك قوله تعالى: فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَـازِهِمْ أي لمـا قضى لهم حاجتهم، جَعَـلَ السِّـقَايَةَ: وهي المشـربة الـتي كان يشرب بها الملك، قال ابن زيد: وكان كأسـاً من ذهب

فيما يـذكرون، وقـال ابن إسـحاق: هـو شـيء من فضّـة، عكرمة: مشربة من فضّة مُرصّعة بالجواهر، جعلها يوسـف مكيلا لئلاّ يكال بغيرها وكان يشرب بها، سعيد بن جُبير: هو [المقياس] الذي يلتقي طرفاه وكان يشـرب بهـا الأعـاجم وكان للعباس منها واحدة في الجاهلية، والسقاية والصواع واحـد، فِي رَحْـلِ أَخِيـهِ في متـاع بنيـامين، ثمّ ارتحلـوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا ومضوا ثمّ أمـر بهم فـأدركوا وحُبسوا.

ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ نادى مناد، أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ هي القافلـة الـتي فيها الأحمال، قال الفرّاء: لا يُقال عِـير إلاّ لأصـحاب الإبـل، وقـال مجاهـد كـانت العِـير حمـيراً. إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ قفوا، فوقفوا، فلمّا انتهى إليهم الرسـول قـال لهم: ألم نكـرم ضـيافتكم ونُحسـن مـنزلكم ونُـوفِكم كيلكم ونفعل بكم ما لم نفعلـه بغـيركم؟ قـالوا: بلى، ومـا ذاك؟ قال: سقاية الملك، فقال: إنّه لا يُتَّهم عليهـا غـيركم، فـذلك قولـه تعـالى: قَـالُواْ وَأَقْبَلُـواْ عَلَيْهِمْ مَّاذَا تَفْقِـدُونَ عطفوا على المؤذّن وأصحابه: ماذا تفقدون؟ ما الذي ضلّ منكم؟ فالفقدان ضدّ الوجود، والمفقد: الطلب.

72 الي 83

قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ 72

* قَـالُواْ تَٱللَّهِ لَقَـدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَـا لِنُفْسِـدَ فِي ٱلأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ 73

* قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ 74

* قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَـزَاؤُهُ كَذٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّالِمِينَ 75

* فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُـفَ مَـا كَـانَ لِيَأْخُـذَ أَخَـاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِـكِ إِلاَّ أَن يَشَـآءَ ٱللَّهُ نَرْفَـعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ 76 *

قَـالُوۤاْ إِن يَسْـرِقْ فَقَـدْ سَـرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْـلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُـفُ فِي نَفْسِـهِ وَلَمْ يُبْـدِهَا لَهُمْ قَـالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ 77

* قَالُواْ يٰأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِـيراً فَخُـذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ 78

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنـدَهُ إِنَّـآ إِذاً لَّظَالِمُونَ 79

* فَلَمَّا ٱسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيّاً قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوۤاْ أَنَّ أَبَـاكُمْ قَـدْ أَخَـذَ عَلَيْكُمْ مَّوْثِقـاً مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَـرَّطتُمْ فِي يُوسُـفَ فَلَنْ أَبْـرَحَ

ٱلأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيۤ أَبِيۤ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَاكِمِينَ 80

* **ٱرْجِعُوۤاْ إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يٰأَبَانَا إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَـا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـافِظِينَ** 81

* **وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَـا وَٱلْعِيْـرَ ٱلَّتِيۤ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ** 82

* **قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَـأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعـاً إِنَّهُ هُـوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ** 83

قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ واختلف القُرّاء في قـراءة ذلـك، فروى قثم عن داود بن أبي هند عن مولى بني هاشـم عن أبي هُريرة أنّه قرأ صاع الملك، وقرأ أبو رجاء صوع، وقـرأ يحيى بن معمر صوغ بالغين، [فإنّه] وجهنا إلى مصر، صـاغ يصوغ صـوغاً، وجمـع الصـواع صـيعاً، وجمـع صـاع أصـواع. وَلِمَن جَآءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ من الطعام وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ كفيـل يقوله المؤذّن، وأصل الزعيم: القـائم بـأمر القـوم، ويُقـال للـرئيس زعيم، يُقـال: زعم، زعامـة وزعامـاً، قـالت ليلى الأخيلية:

حـــتى إذا رفـــع اللـــواء رأيتُه   تحت اللـــــــواء على الخميس زعيماً

و قَالُواْ يعني اخوة يوسف، تَٱللَّهِ أي والله، أصلها الـواو قلبت تاء كما فعل القـراء في التقـوى والتكلان والـتراب

والتخمــة، وأصــلها الــواو، والــواو في هــذه الحــروف كلّهــا حرف من الأسماء، وليست كذلك في تالله لأنّهــا إنّمــا هي واو القســم وإنّمــا جعلت بــالكثرة مــا جــرى على ألســن العرب، هم زعموا أنّ الواو من نفس الحرف فقلبوها تــاء، ووضعت في هذه الكلمــة الواحــدة دون غيرهــا من أســماء اللـــــــــــــــــه تعـــــــــــــــــــــالى.
لَقَـدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَـا لِنُفْسِـدَ فِي الأَرْضِ وَمَـا كُنَّا سَـارِقِينَ
فإن قيل: من أين علموا ذلك؟ الجواب عنــه: قــال الكلــبي قــال: إن فــتى يوســف وهــو المــؤذّن قــال لهم: إنّ الملــك ائتمنني بالصــاع وأخــاف عقوبــة الملــك، فلي اليــوم عنــده مقولة حســنة، فــإن لم أجــده تخــوّفت أن تســقط منزلــتي وأفتضح في مصــر، قــالوا: لقــد علمتم مــا جئنــا لنفس في الأرض إنا منذ قطعنا هــذا الطريــق لم نــنزل عنــد أحــد ولا أفسدنا شيئاً وسلوا عنا من مررنا به، هل ضررنا أحــداً؟ أو هل أفسدنا شيئاً؟ وإنّــا قــد رددنــا الــدراهم كمــا وجــدنا في رحلنـــــا، فلـــــو كنّـــــا ســـــارقين مـــــا رددناهـــــا.
قال فتى يوسف: إنّه صواع الملك الأكبر الذي يكتــال فيــه، وقال بعضهم: إنّما قالوا ذلك لأنّهم كــانوا معــروفين أنّهم لا يتناولون ما ليس لهم، وقيل: إنّهم كــانوا حين دخلــوا مصــر كمّــوا أفــواه دوابهم لكي لا تتنــاول من حــروث النــاس.
فــإن قيــل: كيــف اســتجاز يوســف تســميتهم ســارقين؟ قيــل: فيــه جوابــان: أحــدهما أنّــه أضــمر في نفســه أنّهم سرقوه من أبيه، والآخر أنّــه من قــول المنــادي لا من أمــر يوســـــــــــــــف واللـــــــــــــــــه أعلم.

قَالُواْ يعني المنـادي وأصـحابه، فَمَـا جَـزَآؤُهُ ثوابـه قـال الأخفش: إن شـــئت رددت الكنايـــة إلى الســـارقين، وإن شئت رددتها إلى السَّرَق إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ في قولكم: (ما كنّـــــــــــــــــــــا ســـــــــــــــــــــارقين).

قالوا: جَـزَآؤُهُ مَن وُجِـدَ فِي رَحْلِـهِ أن يسـلِّم سـرقته إلى المسروق منه،ويسترقّ سنة، وكان ذلـك سـنّة آل يعقـوب في حكم السـارق كَـذٰلِكَ نَجْـزِي الظَّالِمِينَ الفـاعلين مـا ليس لهم فعله من أخذ مال غيره سرقاً، وأمـا وجـه الكلام فقـال الفـرّاء من في معـنى جـزاؤه، ومن معناهـا الرفـع بالهاء الـتي جـاءت وجـواب الجـزاء الفـاء في قولـه فَهُـوَ جَـزَاؤُهُ ويكـون قولـه: جَـزَاؤُهُ الثانيـة مرتفـع بـالمعنى المجمل في الجـزاء وجوابـه، ومثلـه في الكلام أن يقـول: ماذا لي عندك؟ فيقول: لك عنـدي أن بشّـرتني فلـك ألـف درهم كأنّه قال: لك عندي هذا، وإن شئت الجزاء مرفوعـاً بمن خاصّة وصلتها كأنّك قلت: جزاؤه الموجـود في رحلـه، كأنّك قلت: ثوابه أن يسترق [في المستأنف] أيضـاً فقـال: فهو جزاؤه، وتلخيص هذه الأقاويل: جزاؤه جـزاء الموجـود في رحله، أو جزاؤه الموجود في رحله.

تمّ الكلام.

وقال مبتدئاً فهو جزاؤه فقال الرسول عند ذلـك: إنّـه لابـدّ من تفتيش أمتعتكم ولستم سارقين حتى أفتّشها فانصرف بهم إلى يوسف، فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ لإزالـة التهمـة قَبْـلَ وِعَـآءِ أَخِيهِ وكان فتّش أمتعتهم واحداً واحداً، قال قتادة: ذكر لنا أنّه كان لا يفتح متاعاً ولا ينظـر في وعـاء إلاّ اسـتغفر اللـه

تأثّماً ممّا قذفهم به، حتى إذا لم يبق إلاّ الغلام، قال: ما أظنّ هذا أخذ شيئاً، فقال أخوته: والله لا نتحرّك حتى تنظر في رحله، فإنّه أطيب من نفسك وأنفسنا، فلمّا فتحوا متاعه استخرجوه منه فذلك قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ وإنّما أتت الكناية في قوله استخرجها والصواع مذكر، وقد قال الله تعالى: وَلِمَن جَآءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ لأنّ ردّه إلى السقاية كقوله:

الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ [المؤمنون: 11]، ثمّ قال: **هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**

[المؤمنون: 11] ردّها إلى الجنّة وقوله:

وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ [النساء: 8]،

ثمّ قال: **فَارْزُقُوهُمْ مِّنْهُ** [النساء: 8]،

أي من الميراث.

وقيل: ردّ الكناية إلى السرقة.

وقيل: إنّما أنّثها لأنّ الصواع يُذكر ويُؤنّث فمن أنّثه قال: ثلاث أصوع مثل أدود ومن ذكّره قال: ثلاثة أصواع مثل ثلاثة أثواب.

كَذٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ يعني كما فعلوا في الابتداء بيوسف فعلنا بهم لأنّ الله تعالى حكى عن يعقوب أنّه قال ليوسف فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً فالكيد جزاء الكيد، قال ابن عباس: كذلك كِدنا أي صنعنا،

ربيع: ألهمنا، ابن الأنباري: أردنا.

ومعنى الآية: كذلك صنعنا ليوسف حتى ضمّ أخاه إلى نفسه وفصل بينه وبين إخوته بعلّة كادها الله له فاعتلّ بها يوسف، مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ إليه ويضمّه إلى نفسه فِي دِينِ الْمَلِكِ في حكمه وقضائه، قاله قتادة.

وقـال ابن عبـاس: في سـلطان الملـك، وأصـل الـدين: الطاعة، وكان حكم الملك في السارق أن يسـترقّ ويُغـرّم ضعف ما سرق للمسروق منه، وقال الضحّاك: كان الملك إذا أُتي بسـارق كشـف عن فرجتيـه وسـمل عينيـه، إلاّ أن يشاء الله،يعـني أنّ يوسـف لم يكن ليتمكّن من أخـذ أخيـه بنيامين من أخوته وحبسـه عنـده في حكم الملـك لـولا مـا كِدنا له بلطفنا حتى وجد السبيل إلى ذلـك وهـو مـا أجـراه على ألسنة إخوته أنّ جزاء السارق الاسـترقاق فـأقرّوا بـه وأبدوا من تسليم الأخ إليه، وكان ذلك مُراد يوسـف (عليـه السلام).

نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَآءُ بـالحكم كمـا رفعنـا يوسـف على إخوتــه.

وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ قال ابن عباس: يكون هـذا أعلم من هذا، وهذا أعلم من هـذا، واللـه فـوق كـلّ عـالم، قـال قتادة والحسـن: واللـه مـا من عـالم على ظهـر الأرض إلاّ فوقه من هـو أعلم منـه حـتى ينتهي العلم إلى اللـه الـذي علّمه ومنه بدأ وإليه يعود، وفي قراءة عبدالله: وفـوق كـلّ عــالم عليم.

وعن محمّد بن كعب القرضي أنّ علي بن أبي طالب كـرّم الله وجهه قضى بقضية فقال رجل من ناحية المسـجد: يـا أمير المؤمنين ليس القضاء كما قضيت، قـال فكيـف هـو؟ قال: كذا وكذا قال: صدقت وأخطأت، وفـوق كـلّ ذي علم عليم.

قالوا: فلمّا أخـرج الصـواع من رحـل بنيـامين نكَّس إخوتـه رؤوسهم من الحياء وأقبلوا على بنيامين وقالوا: يا بنيـامين أي شيء الذي صنعت، فضحتنا وسـوّدت وجوهنـا، يـا بـني راحيـل مـا يـزال لنـا منكم بلاء، مـتى أخـذت الصـواع؟. فقـال بنيـامين: بـل بنـو راحيـل الـذين لا يـزال لهم منكم

بلاء،ذهبتم بأخي فأهلكتموه بالبريّة، وضع هـذا الصـواع في رحلي الـــــذي وضـــــع الـــــدراهم في رحـــــالكم. ثمّ قالوا ليوسـف: إِن يَسْـرِقْ فَقَـدْ سَـرَقَ أَخٌ لَّهُ : من أبيـه وأمّه، من قبل، واختلف العلماء في السرقة الـتي وصـفوا بها يوسف،

- فقال سعيد بن جبـير وقتـادة: سـرق يوسـف صـنماً لجدّه أبي أمّه كسّره وألقـاه في الطريـق، الكلـبي: بعثتـه أمّـه حين أرادت أن ترتحـل من حـران مـع يعقـوب إلى فلسـطين والأردن، أمرتـه أن يـذهب فأخذ جونة فيها أوثـان لأبنهـا [أي] ذهب فيأتيهـا بهـا لكي إذا فقدها أبوها أسـلم، فـانطلق فأخـذها وجـاء بها إلى أمّه، فهذه سرقته التي يعنون.
- وعن ابن جريح: كـانت أمّ يوسـف أمرتـة أن يسـرق صنماً خاله يعبده وكانت مسلمة،
- وروى أبـو كـريب عن أبي ادريس قـال سـمعت أبي قال: كان أولاد يعقوب على طعام ونظر يوسف إلى عـرق فخبّـأه فعيّـروه بـذلك، وأخـبر عبداللـه بن السدّي، عن أبيه عن مجاهد أنّ يوسف جاءه سـائل إلى البيت فسرق [جُبّة] من الـبيت فناولهـا السـائل فعيّروها بها، وقال سفيان بن عيينـة: سـرق يوسـف دجاجـة من الطـير الـتي كـانت في بيت يعقـوب فأعطاها سائلا.

كعب: كان يوسف في المنزل وحده فأتاه سـائل وكـان في المنزل عتاق وهي الانـثى من الجـديّ، فـدفعها إلى السائل من غير أمر أبيه. وهب: كان يُخبّئ الطعـام من المائدة للفقراء.

هشام عن سعد بن زيد بن أسلم في هذه الآية قـال: كـان يوسف (عليه السلام) مع أمّه عنـد خـال لـه، قـال: فـدخل

وهو صبي يلعب وأخذ تمثالا صغيراً من الذهب، فذلك تعيير اخوانه إيّاه.
وروى ابن إسـحاق عن مجاهـد عن جويـبر عن الضـحّاك قال: كان أوّل ما دخل على يوسـف من البلاء فيمـا بلغـني أنّ عمّته بنت اسحاق وكانت أكبر أولاد إسحاق، وكانت لها منطقة إسحاق، وكـانوا يتوارثوهـا بـالكبر من أختانهـا ممّن وليها كان له سلماً لا ينازع فيه، يصنع فيه ما يشاء، وكـانت راحيـل أمّ يوسـف قـد مـاتت فحضـنته عمّتـه وأحبّتـه حُبّـاً شـديداً، وكـانت لا تصـبر عنـه.
فلمّا ترعرع وبلغ سنوات وقعت محبّة يعقوب عليـه فأتاهـا يعقوب فقال: يا اختاه سلّمي إليّ يوسف، فوالله مـا أقـدر على أن يغيب عنّي ساعة، فقالت: لا، فقال: واللـه مـا أنـا بتاركه.
قالت: فدعه عندي أيّاماً أنظر إليه لعلّ ذلك يُسـلّيني عنـه، ففعل، فلمّا خـرج يعقـوب من عنـدها عمـدت إلى منطقـة إسـحق فحزمتهـا على يوسـف تحت ثيابـه وهـو صـغير ثمّ قـالت: لقـد فقـدت منطقـة إسـحق فـانظروا من أخـذها فالتمسـوها فلم توجـد فقـالت: اكشـفوا أهـل الـبيت، فكشفوهم فوجودها مع يوسف، فقـالت: واللـه إنّـه لسـلم لي أصنع فيه ما شئت، فأتاها يعقوب فأخبرته الخبر فقال: إن كان فعل ذلك فهـو سـلم لـك، مـا أسـتطيع غـير ذلـك، فأمسكته، فما قدر عليه يعقـوب حـتى مـاتت، فهـذا الـذي قال أخوة يوسـف: إن سـرق فقـد سـرق أخ لـه من قبـل، وهذا هو المثل السـائر الـذي قـال عُـذره شـرٌ من جرمـه.
فَأَسَـرَّهَا فأضـمرها، يُوسُـفُ فِي نَفْسِـهِ وَلَمْ يُبْـدِهَا لَهُمْ وإنّمـا أنّث الكنايـة لأنّـه عـنى بهـا الكلمـة والمقالـة وهي قراءة.

قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً أي شرٌّ منزلا عند الله ممّن رميتموه بالسـرقة في صـنيعكم بيوسـف وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَـا تَصِـفُونَ تقولون، قتادة: تكذبون.
وقالت الرواة: لما دخلـوا على يوسـف واسـتخرج الصـواع من رحل بنيامين دعا يوسف بالصـواع فنقـر فيـه ثمّ أدنـاه من أذنه ثمّ قال: إنّ صواعي هذا ليخبرني أنّكم كنتم اثـني عشر رجلا وانّكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه، فلمّـا سـمعها بنيـامين قـام فسـجد ليوسـف ثمّ قـال: أيّهـا الملـك سَـل صـواعك هـذا عن أخي أين هـو فنقـره ثمّ قـال: هـو؟ حيّ وسوف تراه قـال: فاصـنع فيّ مـا شـئت فإنّـه إن علم بي فسوف يستنقذني،
قال: فدخل يوسف فبكى، ثمّ توضّأ وخـرج فقـال بنيـامين: أيّها الملك إنّي أرى أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحقّ من الذي سرقه فجعله في رحلي؟
فنقره فقال: إنّ صـواعي هـذا عصـاني وهـو يقـول: كيـف تسألني عن صاحبي وقد رأيت مع من كنت؟
قال: وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يُطاقوا فغضب روبيل، وقال: والله أيّها الملك لتتركنـا أو لأصـيحنّ صـيحة لا تبقي بمصر امرأة حامل إلاّ ألقت ما في بطنها قامت كلّ شعرة في جسد روبيل فجرجت من [......]
فمسّه فذهب غضبه،
فقـال روبيـل من هـذا؟ إن في هـذا البلـد لبـذراً من بـذر يعقوب.
فقال يوسف: ومن يعقوب؟
فغضب روبيل وقال: يـا أيّهـا الملـك لا يُـذكر يعقـوب فإنّـه سري الله ابن ذبيح الله ابن خليـل الـرحمن، قـال يوسـف [إشـهد] إذاً أنت كنت صـادقاً، احتبس يوسـف أخـاه وصـار

بحكم إخوته أولى به منهم، فرأوا أنّه لابدّ لهم إلى تخليصه منه سألوه تخليته ببدلٍ منهم يُعطونه إيّاه،
قَالُواْ يٰأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً : متعلّقاً بحبّه يعنون يعقوب،
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ : بدلا منه إِنَّا نَرَاكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ في أفعالك
قيل: إلينا، وقال ابن إسحاق: يعنون إنْ فعلت ذلك كنت من المُحسنين.
قَالَ يوسف مَعَاذَ ٱللَّهِ أعوذ بالله وهو نصب على المصدر،
وكذلك تفعل العرب في كلّ مصدر وضع موضع الفعل، تقول: حمداً لله وشكراً لله، بمعنى أحمد الله وأشكره.
أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ ولم يقل من سرق تحرّزاً من الكذب،
إِنَّآ إِذاً لَّظَالِمُونَ إن أخذنا بريئاً بسقيم.
فَلَمَّا ٱسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ يعني أيسوا من يوسف من أن يُجيبهم إلى ما سألوه خَلَصُواْ نَجِيّاً أي خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون لا يخالطهم غيرهم، والنجيّ لقوم يتناجون وقد يصلح للواحد أيضاً، قال الله في الواحد: **وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً** [مريم: 52]، وقال في الجمع خَلَصُواْ نَجِيّاً وإنّما جاز للواحد والجمع لأنّه مصدر أبدل نعتاً كالعدل والزور والفطر ونحوها، وهو من قول القائل نجوت فلاناً أنجوه نجيّاً، ومثله النجوى يكون اسماً ومصدراً، قال الله تعالى: **وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ** [الإسراء: 47] أي يتناجون
وقال: **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاَثَةٍ** [المجادلة: 7]
وقال في المصدر

إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ [المجادلة: 10] وقال الشاعر:

بني بدا خبّ (وكُ)عند سرّك
نجوى الرجال خبّ النجيّ

والنجوى والنجيّ في هذا البيت بمعنى المناجاة، وجمع النجيّ أنجية، قال لبيد:

وشهدتُ أنجية الأفاقة عالياً كعبي وأرداف الملوك شهود

وقال آخر:

إنّي إذا ما القوم كانوا أنجيه واضطربت أعناقهم كالأرشية

هناك أوصيني ولا توصي بيه.

- قَالَ كَبِيرُهُمْ يعني في العقل والعلم لا في السنّ وهو شمعون، وكان رئيسهم، قاله مجاهد،
- وقال قتادة والسدّي والضحاك وكعب: هو روبيل وكان أسنّهم وهو ابن خالة يوسف، وهو الذي نهى إخوته عن قتله،
- وهب والكلبي: يهودا، وكان أعقلهم،
- محمد بن اسحاق: لاوي.

أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَّوْثِقاً مِّنَ ٱللَّهِ عهداً من الله وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ اختلفوا في محلّ ما فقال بعضهم: هو نصب إيقاع العلم عليه يعني: ألم تعلموا من قبل فعليكم بهذه تفريطكم في يوسف؟ وقيل:

هو في محلّ الرفع على الابتداء، وتمام الكلام عند قوله: من الله يعني: ومن قبلي هذا تفريطكم في يوسف، فيكون ما مرفوعاً يخبر [....] الصفة وهو قوله: ومن قبل، وقيل: ما صلة، ويعني ومن هذا فرّطتم في يوسف أي قصّرتم وضيّعتم، وقيل: رفع على الغاية.

فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلأَرْضَ التي أنا بها وهي أرض مصر حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيۤ أَبِيۤ بالخروج منها أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي بالخروج منها وترك أخي بنيامين بها أو معه، وإلاّ فإنّي غير خارج منها،

وقال أبو صالح: أو يحكم الله لي بالسيف فأُحارب من حبس أخي بنيامين.

وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَاكِمِينَ أفضل وأعدل من يفصل بين الناس.

ٱرْجِعُوۤاْ إِلَىٰ أَبِيكُمْ يقوله الآخر في المحتبس بمصر لإخوته فَقُولُواْ يٰأَبَانَا إِنَّ ٱبْنَكَ بنيامين سَرَقَ الصواع، وقرأ ابن عباس والضحاك: سُرِّق بضمّ السين وكسر الراء وتشديده على وجه ما لم يُسمِّ فاعله، يعني أنّه نُسب إلى السرقة مثل: خوّنته وفجّرته [....] أي نسبته إلى هذه الخلال.

وَمَا شَهِدْنَآ إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا يعني ما كانت منّا شهادة في عمرنا على شيء إلاّ بما علمنا وليست هذه شهادة منّا إنّما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم، وقال ابن اسحاق:

معناه: وما قلنا: إنّه سرق إلاّ بما علمنا، قال: وكـان الحكم عند الأنبياء يعقوب وبنيه أن يسترقّ السارق بسرقته.

وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ قال مجاهد وقتادة: مـا كنـا نعلم أنّ ابنك يسرق ويصير أمرنا إلى هذا، فلـو علمنـا ذلـك مـا ذهبنا به معنا، وإنّما قلنا ونحفظ أخانا ممّـا لنـا إلى حفظـه منـه سـبيل، وقـال جويـبر عن الضـحّاك عن ابن عبـاس يعنـون: أنّـه سـرق ليلا وهم نيـام والغيب هـو الليـل بلغـة حمير، وقال ابن عبـاس: لم نعلم مـا كـان يعمـل في ليلـه ونهاره ومجيئـه وذهابـه، عكرمـة وَمَـا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـافِظِينَ لعلّها دُسّت بالليل في رحله.

وقيل معناه: قد أُخذت السرقه من رحله ونحن ننظر إليه، ولا علم لنا بالغيب فلعلّهم سَرّقوه ولم يسرق، وهذا معنى قول أبي اسحاق، وقال ابن كيسان: لم نعلم أنّـك تنصـاب كما أُصبت بيوسف، ولو علمنـا ذلـك لم [نأخـذ] فتـاك ولم نذهب به.

وَسْـئَلِ الْقَرْيَـةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَـا يعـني أهـل القريـة وهي مصر، ابن عباس: قرية من قُرى مصر.

وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا يعني القافلة التي كنا فيها وكان معهم قومٌ من كنعان من جـيران يعقـوب (عليـه السـلام)، قال ابن اسحاق: قد عرف الأخ المُحتبس بمصر أنّ إخوتـه أهـل تهمـة عنـد أبيهم لمـا صـنعوا في أمـره فـأمرهم أن يقولوا هذا الاسم، وَإِنَّا لَصَـادِقُونَ * قَـالَ بَـلْ سَـوَّلَتْ في

الآية اختصار معناها، فرجعوا إلي أبيهم وقالوا له ذلك، فقال: بل سوّلت أي زيّنت لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً أردتموه فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً يوسف وبنيامين وأخيهما المقيم بمصر إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ بحزني ووجدي على فقدهم ٱلْحَكِيمُ في تدبير خلقه.

84 الي 93

وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يٰأَسَفَىٰ عَلَى يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ 84

*** قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ85**

*** قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ86**

*** يٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ 87**

*** فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يٰأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ 88**

* **قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُـفَ وَأَخِيـهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ** **89**

* **قَـالُوۤاْ أَءِنَّكَ لأَنتَ يُوسُـفُ قَـالَ أَنَـاْ يُوسُـفُ وَهَـٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَـآ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْـبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ** **90**

* **قَـالُواْ تَٱللَّهِ لَقَـدْ آثَـرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَـا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ**91

* **قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ** **92**

* **ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ** 93

وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وذلك أنّ يعقوب لمّـا بلغـه خـبر بنيـامين تتـامّ حزنه وبلغ جهده وجدّد حزنـه على يوسـف، فـأعرض عنهم وَقَـالَ يٰأَسَـفَىٰ يـا حـزني عَلَى يُوسُـفَ وقـال مجاهـد: يـا جزعـــــاه، والأســـــف: شـــــدّة الحــــــزن والنــــــدم. وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ مقاتـل: لم يُبصـر بهمـا سـتّ سنين فَهُوَ كَظِيمٌ أي مكظوم مملوء من الحزن، ممســك عليه لا يبثّه، ومنه كظم الغيظ، عطـاء الخراسـاني: كظيم: حزين، مجاهد: مكبود، الضحّاك: كميد، قتـادة: تـردّد حزنـه في جوفه، ولم يتكلّم بسوء، ولم يتكلّم إلاّ خـيراً، ابن زيـد: بلغ بـه الجـزع حـتى كـان لا يكلّمهم، ابن عبـاس: مهمـوم، مقاتـــــــل: مكـــــــــروب، وكلّهـــــــا متقاربـــــــــة.

سعيد بن جبير: عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" لم يعط أُمّة من الأمم إنّا لله وإنّا إليه راجعون عند المصيبة إلاّ أمّة محمّد، ألا ترى إلى يعقوب حين أصابه لم يسترجع: إنّما قال يا أسفى على يوسف؟ ".

وأخبرني ابن فنجويه [قال: حدّثنا أبو بكر بن مالك] القطيعي قال: حدّثنا عبدالله بن أحمد ابن حنبل، [قال: حدّثني] أبي، عن هشام [بن القاسم] عن الحسن، قال: كانت بين خروج يوسف من حجر أبيه إلى يوم التقى معه ثمانين عامّاً لا تجف عينا يعقوب، وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب.

قَالُواْ يعني ولد يعقوب تَاللهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ أي لا تزال تذكر يوسف، لا تفتر من حبّه، يقال: ما فتِئتُ أقول ذلك، وما فتأتُ أو أفتؤ، فتأً وفتوّاً، قال أوس بن حجر:

فما فتِئتْ حيّ كأن غبارها ... سرادق يوم ذي رياح ترفع

وقال آخر:

فما فتئت خيل تثوب وتدّعي ... ويلحق منها لاحق وتقطع

أي فما زالت.

وحذف (لا) قوله فتئ كقول امرئ القيس:

فقلتُ يمين الله أبرحُ قاعداً ... ولو قطّعوا رأسي لديك وأوصالي

أي: لا أبرح.

وقال خداش بن زهير:

وأبرحُ ما أدام بحمد الله

الله قومي   منتطقاً مجيداً

أي لا أبرح ومثله كثير.

حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضاً اختلف ألفاظ المفسّرين فيه، فقال ابن عباس: دنفاً، العوفي: يعني الهد في المرض، مجاهد: هو ما دون الموت، يعني قريباً من الموت، قتادة: هرِماً، الضحّاك: بالياً مدبراً، ابن اسحاق: فاسداً لا عمل لك، ابن زيد: الحرض: الذي قد ردّ إلى أرذل العمر حتى لا يعقل، الربيع بن أنس: يابس الجلد على العظم، مقاتل: مُدنفاً، الكسائي: الحرض: الفاسد الذي لا خير فيه، الأخفش: يعني ذاهباً، المُخرج: ذائباً من الهمّ، الفرّاء عن بعضهم: ضعيفاً لا حراك بك، الحسن: كالشنّ المدقوق المكسور، علام تعباً مُضنى، ابن الأنباري: هالكاً فاسداً، القتيبي: ساقطاً، وكلّها متقاربة. ومعنى الآية: حتى يكون دنف الجسم مخبول العقل، وأصل الحرض: الفساد في الجسم أو العقل من الحزن أو العشق أو الهرم، ومنه قول العَرجي:

إنّي امرؤ لجّ بي حبٌّ فأحرضني   حتى بليتُ وحتى شفني السقم

يُقال: منه رجل حرض وامرأة حرض ورجلان وامرأتان حرض، ورجال ونساء حرض يستوي فيه الواحد والإثنان والجمع، والمذكّر والمؤنّث، لأنّه مصدر وضع موضع الاسم، ومن العرب من يقول للذكر حارض وللأُنثى حارضة، فإذا وصف بهذا اللفظ ثنّى وجمع وانّث، ويُقال: حرض، يحرّض، حرضاً وحراضة فهو حرض، ويُقال: رجل محرّض وأنشد في ذلك:

طلبته الخيل يوماً كاملا   ولو آلفته لأضحى مُحرضاً

وقال امرؤ القيس:

أرى المـــــرءَ ذا الأذواد يُصبِح مُحرضاً   كإحراض بكر في الدّيار مريض

أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ أي الميّتين، وقال يعقوب عند ذلك لمّا رأى غلظتهم وسوء لفظهم، إِنَّمَآ أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى ٱللَّهِ لا إليكم، قال المفسّرون دخل على يعقوب جار له فقال: يا يعقوب ما لي أراك قد انهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك؟ قال: هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من مُصاب يوسف، فأوحى الله إليه: يا يعقوب تشكوني إلى خلقي؟ قال: يا ربّ خطيئة أخطأتها فاغفر لي، قال: فإنّي قد غفرتها لك وكان بعد ذلك إذا سُئل قال: إنّما أشكو بثّي وحُزني إلى الله.

وقال حبيب بن أبي ثابت: بلغني أنّ يعقوب كبر حتى سقط حاجباه على عينيه، وكان يرفعهما بخرقة، فقال له رجل: ما بلغ بك ما أرى؟ قال: طول الزمان وكثرة الأحزان.

فأوحى الله إليه: يا يعقوب تشكوني، فقال: خطيئة أخطأتها فاغفرها لي.

وعن عبدالله بن قميط، قال: سمعت أبي يقول: بلغنا أنّ رجلا قال ليعقوب (عليه السلام): ما الذي أذهب بصرك؟

قال: حزني على يوسف،

قال: فما الذي قوّس ظهرك؟

قال: حزني على أخيه،

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا يعقوب أتشكوني؟ وعزّتي وجلالي لو كانا ميّتين لأخرجتهما لك حتى تنظر إليهما، وإنّما وجدت عليكم أنّكم ذبحتم شاة فأتاكم مسكين فلم تطعموه شيئاً، وأنّ أحبّ خلقي إليّ الأنبياء ثمّ المساكين، فاصنع طعاماً وادعُ إليه المساكين، فصنع طعاماً، ثمّ قال: من كان صائماً فليفطر الليلة عند آل يعقوب.

وروى أبو عمران عن أبي الخلد ووهب بن منبه، قالا: أوحى الله تعالى إلى يعقوب: تدري لم عاقبتك وغيّبت عنك يوسف وبنيامين؟

قال: لا إلهي، قال: لأ نّك شويت عتاقاً وقترت على جارك، وأكلت ولم تطعمه،

ويقال: إنّ سبب ابتلاء يعقوب بفقد يوسف، أنّه كانت له بقرة ولها عجول فذبح عجولها بين يديها، وإنّما كانت تخور فلم يرحمها، فأخذه الله به وابتلاه بفقد يوسف أعزّ ولده.

وقال وهب بن منبه والسدّي وغيرهما: أتى جبرئيل يوسف وهو في السجن، فقال: هل تعرفني أيّها الصدّيق؟

قال: أرى صورة طاهرة وريحاً طيّبة،

قال: فإنّي رسول ربّ العالمين، وأنا الروح الأمين،

قــال: فمــا الــذي أدخلــك حبس المــذنبين وأنت أطيب الطيّبين، ورأس المقرّبين، وأمين ربّ العالمين؟

قـال: ألم تعلم يـا يوسـف أنّ اللـه يُطهّـر الـبيوت لهـؤلاء الطيّـبين، وأنّ الأرض الـتي تـدخلونها هي أطهـر الأرضـين، وأنّ الله قد طهّر بك السجن وما حوله يا أطهر الطـاهرين وابن الصالحين؟

قال: كيف لي بابن الصدّيقين وتعدّني من المخلصين، وقـد أدخلت مدخل المُذنبين، سمّيت باسم المفسدين؟

قال: لأنّه لم يفتتن قلبك ولم تطع سيدتك في معصية ربّك فلذك سـمّاك اللـه في الصـدّيقين، وعـدّك مـع المخلصـين وألحقك بآبائك الصالحين،

قال: هل لك علم بيعقوب أيّها الروح الأمين؟

قال: نعم وهب الله له البلاء الجميل وابتلاه بـالحزن عليـك فهو كظيم،

قال: فما قدر حزنه؟ قال: حزن سبعين ثكلى،

قال: فماذا له من الأجر يا جبرئيل؟

قال: أجر مائة شهيد،

قال: أفتراني لاقيه؟

قال: نعم، فطابت نفس يوسف،

قال: ما أُبالي ما ألفيته أن رأيته.

وأمّا قوله بثّي فالبثّ: أشدّ الحزن سُمّي بذلك لأنّ صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثّه أي يُظهره، يقال: بثّ، يبثّ فهو باثّ وأبثّ [يأبثه أبثاً] يُبثّ فهو مُبثّ إذا أظهره قال ذو الرمّة:

وقفتُ على ربع لميّة ناقتي ... فما زلتُ أبكي عندهُ وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد ممّا أبُثّه ... تكلّمني أحجاره وملاعبه

وقال الحسن: بثّي أي حاجتي،

وقال محمّد بن القاسم الأنباري: البثّ: التفرق،

وقال محمّد بن إسحاق: معناه: إنّما أشكو حزني الذي أنا فيه إلى الله،

وهو من بثّ الحديث.

وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ قال ابن عباس: يقول أعلم أنّ رؤيا يوسف صادقة وأني وأنتم سنسجد له، وقال آخرون: وأعلم أنّ يوسف حيّ. قال السدّي: لما أخبره ولده بسيرة الملك وقوله أحسّت نفس يعقوب فطمع وقال: لعلّه يوسف، ويروى أنّه رأى الملك في المنام فسأله: هل قبضت روح يوسف؟ قال: لا والله، وهو حيّ.

ويقال: أرسل الله إليه ذئباً فسلّم عليه وكلّمه، فقال له يعقوب: أكلت ابني وقّرة عيني وثمرة فؤادي؟ قال: قد والله علمتَ يا يعقوب أنّ لحوم الأنبياء وأولاد الأنبياء علينا حرام، فلذلك قال لبنيه: يٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ولا تيأسوا من روح الله سيروا واطلبوا الخبر، من يوسف وأخيه: وهو تفعّلوا من الحسّ يعني تتبّعوا، قال ابن عباس: إلتمسوا، وَلاَ تَيْأَسُواْ ، أي لا تقنطوا، من روح الله: من فرج الله، قال ابن زيد وقتادة، والضحّاك: من رحمة الله، إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ .

يُقال: سُئل ابن عباس عن الفرق بين التجسّس والتحسّس

فقال: لا يبعد أحدهما عن الآخر إلاّ أنّ التحسّس في الخير والتجسّس في الشرّ،

الحسن وقتادة: ذكر لنا أنّ نبي الله يعقوب لم ينزل به بلاء قط إلاّ أتى حسن ظنّه بالله من ورائه، وما ساء ظنّه بالله ساعة قط من ليل أو نهار،

الحسن عن الأحنف بن قيس عن ابن عباس بن عبدالمطّلب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال داود: [إلهي] أسمع الناس يقولون إله إبراهيم وإسحق ويعقوب فاجعلني رابعاً: فقال: لست هناك،

- **إنّ ابــراهيم لم يَعــدل بي شــيئاً قــط إلاّ اختارني،**
- **وإنّ إسحاق جادَ لي بنفسه،**
- **وإنّ يعقوب في طول ما كان لم ييــأس من يوسف".**

قَالُواْ يٰأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ في الآية متروك يستدلّ بسياق الكلام عليه تقديره: فجاؤوا راجعين إلى مصر حتى وصلوا إليها فدخلوا على يوسف، فقالوا له: يا أيّها العزيز، يا أيّها الملك بلغة حمير، مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ الشدّة والجوع وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ قليلة، رديئة ناقصة، كاسدة. لا تنفق في شيء من الطعام إلاّ [يتوجبن] من البائع فيها، وأصل الإزجاء السوق والدفع، قال الله تعالى: **أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً** [النور: 43] قال النابغة الذبياني:

وهبّت الــريحُ من تلقاء ذي أزل | **تُــزجي مــع الليلِ من صَرّادها صرما**

وقال حاتم الطائي:

لَيبــكِ على مَلِحــان ضيفٌ مُدَفَّعٌ | **وأرمَلةٌ تُــزجي مع الليلِ أرملا**

وإنّما قيل للبضاعة: مزجاة لأنّها غير نافقة وإنّما يجوز تجويزاً على دفع من أخذها. وأمالها حمزة والكسائي وفخّمها الباقون.

واختلف المفسّرون في هذه البضاعة ما هي؟

- عكرمة عن عباس: كانت دراهم رديئة زيوفاً لا تنفق إلاّ بوضيعه بإذن عنه، يعني لا تنفق في الطعام؛ لأنّه لا يُؤخذ في ثمن الطعام إلاّ الجيّد،

- ابن أبي مليكـة: حبـل خِلـق الغـرارة والحبـل ورثـة المتاع،
- عبداللـــه بن الحـــرث: متـــاع الأعـــراب، الصـــوف والسّمن،
- الكلبي ومقاتل وابن حيّان: الصنوبر وحبّة خضراء،
- سعيد بن جبير: دراهم [قليلة]،
- ابن اسحاق: قليلة لا تبلغ ما كـان يشـترى بـه إلاّ أن تتجاوز لنا فيها أحسن كانت أو أوطأ،
- جويبر عن الضحّاك: النعال والأدم،
- ورويَ عنه أنّها سويق المقل.

فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْـلَ أي أعطنـا بهـا مـا كنت تُعطينـا من قبـل بالثمن الجيّد الوافي وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَـآ وتفضّـل علينـا بمـا بين الثمنين الجيّد والرديء. ولا تنقصـنا من السـعر، هـذا قـول أكثر المفسّرين، وقال ابن جريج والضـحّاك: تصـدّق علينـا بردّ أخينا إلينا.

إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ قـال الضـحّاك: لم يقولـوا: إنّ الله يجزيك أن تصدّقت علينا لأنّهم لم يعلمـوا أنّـه مـؤمن، قـال عبـدالجبار بن العلاء: سُـئِلَ سـفيان بن عُيينـة: هـل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء سوى نبيّنا صلى اللـه عليه وسلم قال سفيان: ألم تسمع قوله: فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ أراد سفيان أنّ الصدقة كانت لهم حلالا وأنّهـا إنّما حُرّمت على نبيّنا صلى الله عليه وسلم

وروي أنّ الحسن البصري سمع رجلا يقـول: اللهمّ تصـدّق عليّ، فقال: يا هذا إنّ الله لا يتصدّق إنّما يتصدّق من يبغي الثـــواب، قـــل: اللهمّ أعطـــــني أو تفضّـــل عليّ. قَـالَ هَـلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُـفَ وَأَخِيـهِ اختلفـوا في السـبب الـذي حمـل يوسـف على هـذا القـول، فقـال ابن اسحاق: ذُكر لي أنّهم لمّا كلّموه بهـذا الكلام غلبتـه نفسـه

وأدركته الرقّة فانفضّ دمعه باكياً ثمّ باح لهم بالذي كان يكتم فقال: هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ.

وقال الكلبي: إنّما قال ذلك حين حكى لإخوانه: أنّ مالك بن أذعر قال: إنّي وجدت غلاماً في بئر حاله كيت وكيت وابتعته من قوم بألف درهم فقال: أيّها الملك نحن بعنا ذلك الغلام منه، فغاظ يوسف ذلك وأمر بقتلهم فذهبوا بهم ليقتلوهم، فولّى يهوذا وهو يقول: كان يعقوب يحزن لفقد واحد منّا حتى كفّ بصره فكيف به إذاً لو قتل بنوه كلّهم، ثمّ قالوا: إن فعلت ذلك فابعث بأمتعتنا إلى أبينا وإنّه في مكان كذا وكذا، فذاك حين رحمهم وبكى وقال لهم ذلك القول.

وقال بعضهم: إنّما قال ذلك حين قرأ كتاب أبيه إليه وذلك أنّ يعقوب لما قيل له: إنّ ابنك سرق، كتب إليه:

"من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله، بن ابراهيم خليل الله أمّا بعد فإنّا أهلُ بيت مُوكّل بنا البلاء، فأمّا جدّي فشدّت يداه ورجلاه وأُلقي في النار فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وأمّا أبي فشدّت يداه ورجلاه ووضع السكّين على قفاه، ليُقتل، ففداه الله، وأمّا أنا فكان لي ابن وكان أحبّ أولادي إليّ فذهب به إخوته إلى البريّة ثمّ أتوني بقميصه مُلطّخاً بالدم وقالوا: قد أكله الذئب وذهب [..........]

ثمّ كان لي ابن وكان أخاه من أُمّة وكنت أتسّلى به، فذهبوا به ثمّ رجعوا وقالوا: إنّه سرق، وإنّك حبسته بذلك وإنّا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً، فإنْ ردَدته إليّ وإلاّ دعوت عليك دعوة تنزل السابع من ولدك، فلمّا قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك البكاء وعيل صبره فقال لهم ذلك.

وقال بعضهم: إنّما قال ذلك حين سأل أخاه بنيامين: هل لك ولد؟
قال: نعم، ثلاثة بنين،
قال: فما سمّيتهم؟ قال: سمّيتُ الأكبر يوسف
قال: ولِمِ؟ قال: محبّة لك، لأذكرك به،
قال: فما سمّيت الثاني؟
قال: ذئباً،
قال: ولم سمّيته بالذئب وهو سبع عاقر؟
قال: لأذكرك به،
قال: فما سمّيت الثالث؟
قال: دماء، قال: ولمَ؟
قال لأذكرك به،
فلمّا سمع يوسف المقالة خنقته العبرة، ولم يتمالك، فقال لإخوته: لمّا دخلوا عليه: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ فرّقتم بينهما وصنعتم ما صنعتم إذ أنتم جاهلون، بما يؤول إليه أمر يوسف.
وقيل: يكون المذنب جاهل وقت ذنبه.
قال ابن عباس: إذا أنتم صبيّان، الحسن: شبان وهذا غيرُ بعيد من الصواب لأنّ مظنّة الجهل الشباب.
فإنّ سئل عن معنى قول يوسف مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ
وقيل ما كان عنهم إلى أخيه وهم لم يسعوا في حبسه،
فالجواب أنّهم لمّا أطلقوا ألسنتهم على أخيهم بسبب الصاع [حبس]
وقالوا: ما رأينا منكم يا بني راحيل كما ذكرناه، فعاتبهم يوسف على ذلك.
وقيل: إنّهما لمّا كانا من أُمّ واحدة وكانوا يؤذونه بعد فَقْد يوسف فعاتبهم على ذلك.
قَالُوٓاْ أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ : قرأ ابن مُحصن وابن كثير: إنّك

على الخبر، وقرأ الآخرون على الاستفهام، ودليلهم قــراءة أُبي بن كعب أو أنت يوسف،
قال ابن أسحاق: لمّا قال يوسف لأخوته هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ الآية، كشف عنهم الغطاء ورفع الحجاب فعرفوه، فقالوا: إنّك لأنت يوسف،
جويبر عن الضحّاك عن ابن عباس، قال:
قال يوسف: هل علمتم ما فعلتم بيوسف؟ ثمّ تبسّم، وكان إذا تبسّم كأنّ ثناياه اللؤلؤ المنظوم، فلمّا أبصروا ثناياه شبّهوه بيوسف، فقالوا له استفهاماً: إنّك لأنت يوسف؟،
ابن سمعان عن عطاء عن ابن عباس قال: إنّ إخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عنه، وكان في قرنه علامة، وكان ليعقوب مثلها، وكان لإسحاق مثلها، وكان لسارة مثلها شبه الشامة البيضاء، فلمّا قال لهم: [هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه ورفع التاج عنه، فعرفوه فقالوا: إنّك لأنت يوسف.
قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ بأن جمع بيننا بعدما فرّقتم
إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ويصبر عمّا حرّم الله عليه،
قال ابن عباس: يتّق الزنا ويصبر على العزوبة،
مجاهد: يتّق معصية الله ويصبر على السجن
فَإِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ، 90
ف قَالُواْ مُقرّين مُعتذرين: تَٱللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا اختارك الله علينا بالعلم والحكم والعقل والفضل والحسن والمُلك
وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ 91 وإن كنّا في صنيعنا بك لمخطئين، مذنبين،

يُقال: خطئ، يخطأ، خطأ وخِطأ وأخطأ إذا أذنب، قال أُمّية بن الأكسر:

وإنّ مهـــــاجرين تكنَّفاهُ لعمرُ الله قد خطئا وخابا

وقيل لابن عباس: كيف قالوا: إنّا كنّا خاطئين وقد تعمّدوا لذلك؟ فقال: أخطأوا الحقّ وإن تعمّدوا، وكلّ من أتى ذنباً كذلك يُخطئ المنهاج الذي عليه من الحقّ حتى يقع في الشبهة والمعصية ف قَالَ يوسف وكان حليماً موفّقاً: لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ لا تعيير ولا تأنيب عليكم، ولا أذكر لكم ذنبكم بعد اليوم، وأصل التثريب: الإفساد، وهي لغة أهل الحجاز، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: **" إذا زَنَت أَمَة أحدكم فليجلدها الحد ولا يُثرب عليها "** أي لا يُعيّرها،

ثمّ دعا لهم يوسف وقال: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

عطاء عن ابن عباس قال: **"أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بعضادتي الباب يوم فتح مكّة وقد لاذ الناس بالبيت، وقال: الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده " ثمّ قال: " ما تظنون؟ "قالوا: نظنّ خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت، قال: "وأنا أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم"".**

قال السدي وغيره: فلمّا عرّفهم يوسف نفسه سألهم عن أبيه، فقال: ما فعل؟

قالوا: ذهبت عيناه،

فأعطاهم قميصه وقال لهم: ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً﴾ يعود مُبصراً، لأنّه كان دُعاء.

قال الضحاك: كان ذلك القميص من نسج الجنّة،

روى السدّي عن أبيه عن مجاهد عن هذه الآية قال: كان يوسف أعلم بالله عزّ وجل من أن يعلم أنّ قميصه يردّ على يعقوب بصره، ولكنّ ذلك قميص إبراهيم الذي ألبسه الله عزّ وجل في النار من حرير الجنّة، وكان كساه إسحاق، وكان إسحاق كساه يعقوب وكان يعقوب، أدرج القميص وجعله في قصبة وعلّقه في عنق يوسف لما كان يخاف عليه من العين، ثمّ أمره جبرئيل (عليه السلام) أن أرسل بقميصك فإنّ فيه ريح الجنّة لا يقع على مبتل ولا سقيم إلاّ صحّ وعوفي.

وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ .

94 الي 101

وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ 94

*** قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ ٱلْقَدِيمِ 95**

* فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَٱرْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ 96

* قَالُواْ يٰأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ 97

* قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ 98

* فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ آمِنِينَ 99 *

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يٰأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُمْ مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ ٱلشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ 100

* رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي ٱلدُّنُيَا وَٱلآخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّالِحِينَ 101

وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ يعني خرجت من عريش مصر متوجّهة إلى كنعان. قَالَ أَبُوهُمْ لوِلد ولده إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ

يُوسُفَ روي أنّ الريح استأذنت ربّها في أن تـأتي يعقـوب (عليه السلام) بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير، فأذن لهـا فأتته بهـا، ابن السـدّي عن أبيـه عن مجاهـد، قـال: أصـاب يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثلاثـة أيّـام وذلـك أنّـه هبّت فصفقت القميص فاحتملت الريحُ ريحَ القميص إلى عقوب فوجـد ريح الجنّـة فعلم أن ليس في الأرض من ريح الجنّـة إلاّ أن تأتي من ذلـك القميص فمن ثمّ قـال: إنّي لأجـدُ ريح يوسف، وهو منه على مسيرة ثماني ليال.

وروى شعيبة عن أبي سنان قال: سـمعت عبدالله بن أبي الهُذيل قال: سمعت ابن عبـاس يقـول: وجـد يعقـوب ريح يوسف

روى أبـو سـنان عن أبي هـذيل قـال: سـمعت ابن عبـاس يقـول: وجـد يعقـوب ريح يوسـف وهـو منـه على مسـيرة ثمـاني ليـال، وروى شـعيبة عن أبي سـنان قـال: سـمعت عبدالله بن أبي الهُذيل عن ابن عباس في هذه الآيـة قـال: وجـد ريحـه من مسـيرة مـا بين البصـرة والكوفـة. وقـال الحسن: ذكر لنا أنّه كان بينهما يومئذ ثمانون فرسخاً.

لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ : سفيان عن حصيف، عن مجاهد لَـوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ ، قال: تُسفهون الرأي، عن ابن عبـاس: تجهلـون، ابن جريج وابن أبي نجيح عن مجاهد: لولا أن تقولـوا ذهب عقلك، سعيد بن جبير والسـدّي والضـحّاك: تُكـذّبون، وهي رواية العوفي عن ابن عباس، والحسـن وقتـادة: تهرمـون، ومثلـه روى إسـرائيل عن أبي يحـيى عن مجاهـد، ربيـع: تحمقون، جويـبر عن الضـحّاك: تُهرمـون، فتقولـون: شـيخ كبير قد خرف وذهب عقله، ابن يسار: تضعفون، أبو عمرو بن العلاء: تقبحون، الكسائي: تُعجزون، الأخفش: تلومـون، أبو عبيدة: تُضللون، وأصل الفند: الفساد، قال النابغة:

إلاّ سُـليمان إذْ قـالَ قم في البريـة فاحـددها

المليك له عن الفند

أي امنعها من الفساد، ولذلك يقال: اللوم تفنيد، قال الشاعر:

يا صاحبيَّ دعا لومي وتفنيدي
فليس ما فات من أمر بمردود

وقال جرير بن عطية:

يا عاذليّ دعا الملامَ وأقصرا
طال الهوى وأطلتُما التفنيدا

وقال آخر: **أهلكتني باللومِ والتفنيد**

والفند: الخطأ في الكلام والرأي ويقال: أفند فلاناً الدهر إذا أفسده، ومنه قول ابن مُقبل:

دَعْ الدهر يفعل ما أراد فإنّه
إذا كُلّف الافناد بالناس أفندا

قَالُواْ يعني أولاد أولاده تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ خطأك الْقَدِيمِ من حبّك يوسف لا تنساه، فَلَمَّآ أَن جَـآءَ الْبَشِيرُ المُبشّر برسالة يوسف، قال ابن عباس: البريد يهوذا بن يعقوب، ابن مسعود: جاء البشير من بين يدي العِير قال السدّي: قال يهوذا: أنا ذهبتُ بالقميص مُلطّخاً بالدم إلى يعقوب وأخبرته أنّ يوسف أكله الذئب، وأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره أنّه حيّ وأفرحه كما أحزنته، قال ابن عباس: حمله يهوذا دونهم، وخرج حاسراً حافياً وجعل يعدو حتى أتى أباه، وكان معه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها، وكانت المسافة ثمانين فرسخاً، وروى الضحّاك عن ابن عباس، قال: البشير مالك بن ذعر من أهل مدين.

أَلْقَاهُ يعني ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب، فَٱرْتَدَّ بَصِيراً: فعاد بصيراً بعد ما كان عمي.

عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبي عبدالله السلمي: قال سمعتُ يحيى بن مسلم عمّن ذكره قال: كان يعقوب أكرم أهل الأرض على ملك الموت، وإنّ ملك الموت استأذن ربّه في أن يأتي يعقوب فأذن له فجاءه فقال يعقوب: يا ملك الموت أسألك بالذي خلقك، هل أخذت نفس يوسف فيمن قبضت من النفوس؟ قال: لا، قال مَلك الموت: يا يعقوب ألا أُعَلِّمك دُعاءً؟ قال: بلى، قال: قُل: يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ولا يُحصيه غيرك، قال: فدعا به يعقوب في تلك الليلة فلم يطلع الفجر حتى طرح القميص على وجهه فارتدّ بصيراً، قال الضحّاك: رجع إليه بصره بعد العمى والقوّة بعد الضعف والشباب بعد الهرم والسرور بعد الحزن.

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّيۤ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ من حياة يوسف وأنّ الله يجمع بيننا قَالُواْ بعد ذلك يٰأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَآ ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ مذنبين. قَالَ يعقوب (عليه السلام): سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيۤ في صلاة الليل، قال أكثر المفسّرين: أخّره من الليل إلى السحر، وذلك أنّ الدعاء بالأسحار لا يُحجب عن الله، فلمّا انتهى يعقوب إلى الموعد تقدّم إلى الصلاة بالسحر، فلمّا فرغ منها رفع يده إلى الله تعالى: اللهمّ اغفر لي حزني

على يوسف وقلّة صبري عنه، واغفر لوِلدي ما أتوا على يوسف، فأوحى الله إليه: إنّي قد غفرتُ لك ولهم جمعين.

قال محارب بن دثار: كان عمّ لي يأتي المسجد، قال: فمررت بدار عبدالله بن مسعود فسمعته يقول: اللهمّ إنّك دعوتني فأجبت وأمرتني فأطعت فهذا سحرٌ فاغفر لي. فسألته عن ذلك فقال: إنّ يعقوب أخّر استغفار بنيه إلى السحر بقوله: سوف أستغفر لكم ربّي.

عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" سوف أستغفر لكم ربّي، يقول: حتى يأتي يوم الجمعة".**

قال وهب: كان يستغفر لهم كلّ ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة، وقال طاووس: أخّر إلى السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء. عن أبي سلمة عن عطاء الخراساني قال: طلب الحوائج إلى الشاب أسهل منها في الشيوخ، ألا ترى إلى قول يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، وقول يعقوب (عليه السلام): سوف أستغفر لكم ربّي.

أبو الحسن الملاني الشعبي: قال: سوف أستغفر لكم ربي، قال: أسأل يوسف إن عفا عنكم استغفر لكم ربي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

روي أنّ يعقوب (عليه السلام) قال للبشير لمّا أخبره بحياة يوسف، قال: كيف تركت يوسف؟ قال: إنّه ملك

مصر، فقال يعقوب: ما أصنع بالملك؟ على أيّ دين تركته؟ قال: على دين الإسلام.

فقال يعقوب: الآن تمّت النعمة.

وقال الثوري: لمّا التقى يعقوب ويوسف (عليهما السلام) عانق كلّ واحد منهما صاحبه وبكيا، فقال يوسف: يا أبة بكيتَ عليَّ حتى ذهب بصرك، ألم تعلم أنّ القيامة تجمعنا؟ قال: بلى بُنيّ، ولكن خشيت أن تُسلب دينك، فيُحال بيني وبينك.

قالوا: قد كان يوسف بعث مع البشير إلى يعقوب جهازاً ومائتي راحلة، وسأل يعقوب أن يأتيه بأهله وولده أجمعين، متهيّأ يعقوب للخروج إلى مصر، فلمّا دنا من مصر كلّم يوسف الملك الذي فوقه فخرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند، وركب أهل مصر معهما، يتلقون يعقوب، ويعقوب يمشي ويقود ركابه يهوذا، فنظر يعقوب إلى الخيل والناس، فقال ليهوذا: هذا فرعون مصر؟ قال: لا، هذا إبنك.

فلمّا دنا كلّ واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف ليبدأه بالسلام فمنع من ذلك وكان يعقوب أحقّ بذلك منه وأفضل، فابتدأه يعقوب بالسلام وقال: السلام عليك أيّها الذاهب بالأحزان، فذلك قوله عزّ وجل: فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ آمِنِينَ .

فإن قيل: كيف قال لهم يوسف: ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين بعدما دخلوها، وقد أخبر الله أنّهم لما دخلوا على يوسف وضمّ إليه أبويه قال لهم هذا القول حين تلقّاهم قبل دخولهم مصر كما ذكرنا.

وقال بعضهم: في الآية تقديم وتأخير، وهذا الاستثناء من قول يعقوب حين قال: سوف أستغفر لكم ربي ومعنى الكلام: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إن شاء الله إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ .

فلمّا دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال: ادخلوا مصر آمنين وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وهذا معنى قول أبي جرير، وقال بعضهم: إنّما وقع الاستثناء على الأمن لا على الدخول كقوله تعالى: **لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ آمِنِينَ** [الفتح: 27] و **" قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عند دخول المقابر: وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون ".**

فالاستثناء وقع على اللحوق بهم لا على الموت، وقيل: (إنْ) هاهنا بمعنى (إذْ) كقوله تعالى: **وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ** [البقرة: 278]، وقوله: **وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ** [آل عمران: 139]، وقوله **إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً** [النور: 33].

وقال ابن عباس: إنّما قال: آمنين لأنّهم فيما خلا كانوا يخافون ملوك مصر ولا يدخلون مصر لأنّهم لا جواز لهم، وأمّا قوله تعالى آوَىٰ

- فقال ابن إسحاق: أباه وأمّه
- وقال الآخرون: أبوه وخالته لعيّا، وكانت راحيل أمّ يوسف قد ماتت في نفاسها وتزوّج يعقوب بعدها أُختها لعيا فسمى الخالة

أُمّاً كما سمّى العمّ أباً في قوله:

نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ [البقرة: 133] وروى اسحاق عن بشر عن سعيد عن الحسن، قال: نشر الله راحيل أمّ يوسف من قبرها حتى سجدت تحقيقاً للرؤيا.

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ على السرير، يعني أجلسهما عليه قال ابن اسحاق يعني رفع اسمهما وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدَاً يعني يعقوب وخالته وإخوته، وكانت تحيّة الناس يومئذ السجود، ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الأرض، لأنّ ذلك لا يجوز إلاّ للهِ تعالى وإنّما هو الانحناء والتواضع على طريق التحيّة والتعظيم والتسليم إلاّ على جهة العبادة والصلاة، وهذا قول الأعشى بن ثعلبة:

فلمّا أتانا سجدنا له
بعيد الكرى ورفعنا العمارا

وقال آخر:

فضول أزمتها سجود النصارى

لأمّها أسجدت لأربابها

وقيل: السجود في اللغة الخضوع كقول النابغة:

بجمع تضل البلق في حجراته
ترى ألاكم فيه سُجّداً للحوافِر

أي متطامنة ذليلة.

قال [ثعلبة]: خرّوا يعني مرّوا، ولم يرد الوقـوع والسـقوط على الأرض، نظيره قوله تعالى:

لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً [الفرقـان: 73] إنّمـا أراد لم يمرّوا كذلك، مجاهد: بمعنى المرور،

وروي عن ابن عباس أنّ معناه خرّوا لله سُجّداً فقولـه: لـه كناية عن اللـه تعـالى وَقَـالَ يوسـف عنـد ذلـك واقشـعرّ جلده: هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَـايَ مِن قَبْـلُ قَـدْ جَعَلَهَـا رَبِّي حَقّـاً ، وهو قوله إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً .

واختلفوا في مدّة غيبة يوسف عن يعقوب،

- فقال الكلبي: مائتان وعشرون (120) سنة،
- قال سلمان الفارسي: أربعون (40) سنة،
- عبدالله بن شدّاد: سبعون (70) سنة
- وقيل: سبع وسبعون (77) سنة،
- وقال الحسن: أُلقي يوسف في الجُب وهو ابن سبع عشرة (17) سنة وغاب عن أبيه ثمانين (80) سنة، وعاش بعد لقائه بيعقوب ثلاثاً وعشرين (23) سـنة، ومات وهو ابن عشرين ومائه (120) سنة،
- وفي التوراة: مائة وستّ وعشر (116) سنين.

- في قول ابن إسحاق بن يسار: ثمانين وسبعة (87) أعوام،
- وقال ابن أبي إسحاق: ثماني عشرة (18) سنة،

وولد ليوسف من امرأة العزيز: افراثيم وميشا ورحمة امرأة أيوّب، وبين يوسف وموسى أربعمائة سنة.

وَقَدْ أَحْسَنَ بَيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ لسِّجْنِ ولم يقل من الجبّ استعمالا للكرم لئلاّ يذكّر إخوته صنيعهم، وقيل: لأنّ نعمة الله عليه في النجاة من السجن أكبر من نعمته عليه في إنقاذه من الجب، وذلك أنّ وقوعه في البئر كان لحسد إخوته، ووقوعه في السجن مكافأة من الله لزلّة كانت منه. وَجَآءَ بِكُمْ مِّنَ ٱلْبَدْوِ وذلك أنّ يعقوب وبنوه كانوا أهل بادية ومواشي، والبدو مصدر قولك: بدا، يبدو، بدوّاً، إذا صار بالبادية، مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ أفسد ٱلشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ ذو لُطف وصنع لِّمَا يَشَآءُ عالم بدقائق الأمور وحقائقها، إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ .

روى عبدالصمد عن أبيه عن وهب: قال: دخلوا يعني يعقوب وولده مصر وهم اثنان وسبعون (72) إنساناً ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاطنهم ستّمائة ألف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلا سوى الذرّية والهرمى والزمنى، وكانت الذرّية ألف ألف ومائتا ألف سوى المقاتلة.

قال أهل التاريخ: أقام يعقوب بمصر بعد موافاته بأهلــه أربعــاً وعشــرين ســنة في أغبــط حــال وأهنــأ عيش، ثمّ مات بمصر، ولمّا حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه يوسف أن يحمل جسده حتى يدفنه عنــد أبيــه إســحاق، ففعــل يوسف ذلك ومضى به حتى دفنــه بالشــام، ثمّ انصــرف إلى مصــر.

قال سعيد بن جبير: نُقل في تــابوت من ســاج إلى بيت المقدس ووافق ذلك يوم مــات عيصــوا فــدفنا في قــبر واحد، فمن ثَمّ تنقل اليهــود موتــاهم إلى بيت المقــدس من فعــل ذلــك منهم، وولــد يعقــوب وعُيص في بطن واحد، ودفنا في قبر واحــد وكــان عمرهمــا جميعــاً مائــة وســــــــــــــــــــبعة وأربعين ســــــــــــــــــــنة.

قالوا: فلمّا جمع الله ليوسف شمله وأقرّ لــه عينــه وأتمّ له رؤياه، وكان موسّعاً له في ملك الــدنيا ونعيمهــا علم أنّ ذلك لا يدوم له وأن لابدّ له من فراقــه فــأراد نعيمــاً هــو (أدوم) منــه، فاشــتاقت نفســه إلى الجنّــة فتمــنى الموت ودعا ربّه، ولم يتمنَّ نبي قبلــه ولا بعــده المــوت فقــال: رَبِّ قَــدْ آتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْــكِ يعــني ملــك مصــر وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلأَحَادِيثِ يعني تعبير الرؤيــا فَــاطِرَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ أي خالقها وبارئها.

أَنتَ وَلِيِّي مُعيني فِي ٱلدُّنُيَا وَٱلآخِرَةِ تتــولّى أمــري تَــوَفَّنِي اقبضــني إليــك مُسْــلِماً وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّــالِحِينَ بآبائي النبيين.

قيل: فتوفّاه الله طيّباً طاهراً بمصر، ودفن في النيل في صندوق رُخام، وذلك أنّه لما مات تشاحّ الناس عليه كلٌّ يُحب أن يُدفن في محلّتهم لما يرجون من بركته،فاجتمعوا على ذلك حتى همّوا بالقتال، فرأوا أن يدفنوه في النيل حيث مفرق الماء بمصر فيمرّ الماء عليه ثمّ يصل الماء إلى جميع مصر، فيكونوا كلّهم فيه شرعاً واحداً ففعلوا.

وروى صالح المرّي، عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك، قال: إنّ الله عزّ وجل لمّا جمع ليعقوب شمله خلا ولده نجيّاً، فقال بعضهم لبعض: أليس قد علمتم ما صنعتم وما لقي منكم الشيخ وما لقي منكم يوسف؟ قالوا: بلى، قال: فإنْ أعَفَوا عنكم ولكن كيف لكم بربّكم؟، فاستقام أمرهم على أن أتوا الشيخ فجلسوا بين يديه ويوسف إلى جنب أبيه قاعد.

قالوا: يا أبانا أتيناك في أمر لم نأتك في مثله قط، ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله، حتى حرّكوه، والأنبياء (عليهم السلام) أرحم البريّة، فقال: ما لكم يا بَنيَّ؟ قالوا: ألست قد علمت ما كان منّا إليك، وما كان منّا إلى أخينا يوسف؟ قالا: بلى، وقالوا: أفلستما قد عفوتما، قالا: بلى، قالوا: فإنّ عفوكما لا يغني عنّا إنْ كان الله لم يعفُ عنّا، قال: فما تُريدون يا بَني؟ قالوا: نُريد أن تدعو الله فإذا جاء الوحي من عند الله بأنّه قد عفا عنا صُنْعَنا قرّت أعيُننا واطمأنّت قلوبنا، وإلاّ فلا قرّة عين لنا في الدنيا أبداً، فقام الشيخ واستقبل

القبلة وقـام يوسـف خلـف أبيـه، وقـاموا خلفهمـا أذلّـة خاشـعين، فـدعا يعقـوب وأمّن يوسـف فلم يجب فيهم عشـــــــــــــــــــــــرين ســـــــــــــــــــــنة.
قـــال صـــالح المـــرّي: يخيفهم، حـــتى إذا كـــان رأس العشـرين نـزل جبرئيـل على يعقـوب فقـال: إنّ اللـه تبـارك وتعـالى بعثـني إليـك أُبشّـرك، فإنّـه قـد أجـاب دعوتك في وِلدك،وإنّـه قـد عفـا عمّـا صـنعوا، فإنّـه قـد اعتقـد مـواثيقهم من بعـدك على النبـوّة، وذلـك الـذي ذكرت وقصصتُ عليك.

102 الي 111

ذَلِـكَ مِنْ أَنْبَـآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيـهِ إِلَيْـكَ وَمَـا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوۤاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ 102

*** وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ 103**

*** وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُـوَ إِلاَّ ذِكْـرٌ لِّلْعَالَمِينَ 104**

*** وَكَـأَيِّن مِّن آيَـةٍ فِي ٱلسَّـمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ 105**

*** وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِٱللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُّشْـرِكُونَ 106**

* أَفَأَمِنُواْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ
أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ 107

* قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِيۤ أَدْعُوۤاْ إِلَىٰ اللَّهِ عَلَىٰ
بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَآ أَنَاْ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ 108

* وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِيۤ
إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي
الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ
تَعْقِلُونَ 109

* حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوۤاْ أَنَّهُمْ قَدْ
كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ وَلاَ يُرَدُّ
بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ * 110

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا
كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ 111

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ والخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ وما كنت يا
محمّد عند أولاد يعقوب إِذْ أَجْمَعُوۤاْ أَمْرَهُمْ أي تعاهدوا
على إلقاء يوسف في غيابة الجُب، وَهُمْ يَمْكُرُونَ
بيوسف، وَمَآ أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ على إيمانهم

بِمُـؤْمِنِينَ * وَمَـا تَسْـأَلُهُمْ عَلَيْـهِ أي على تبليـغ الرسـالة والدعاء إلى اللـه مِنْ أَجْـرٍ: جعـل وجـزاء إِنْ هُـوَ يعـني القـرآن والـوحي إِلاَّ ذِكْـرٌ: عِظـة وتـذكير لِّلْعَـالَمِينَ * وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ وكم قـول فيـه عِظـة وعـبرة ودلالـة فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُـونَ لا يتفكّـــــرون فيهــــا ولا يعتــــبرون بهــــا. الحرث بن قدّامة عن عكرمة أنّه قـرأ: والأرضُ يمـرون عليها رفعاً، عن محمّد بن عمر قال: سـمعت عمـرو بن وائـل يقـرأ: وَكَـأَيِّن مِّن آيَـةٍ فِي السَّـمَاوَاتِ قطعـاً، وَالأَرْضِ يَمُـرُّونَ عَلَيْهَـا رفعـاً، أبـو حمـزة الثمـالي عن السـدي: أنّـه قـرأ والأرضَ يمـرون عليهـا نصـباً، وقـرأ: يمـــرون على الأرض، وعن ابن مجاهـــد قـــال: حـــدّثنا إسحاق الحربي أبو حذيفـة، حـدّثنا سـفيان قـال: وقـرأ عبدالله: (وكأيّن من آية في السماوات والأض يمشـون عليهــــــــــــــــــا).
وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ عكرمة في قـول اللـه تعـالى: وَمَـا يُـؤْمِنُ أَكْثَـرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُّشْـرِكُونَ قـال: من إيمـانهم إذا سُـئِلوا: من خلـق السـماوات والأرض؟ قـالوا: اللـه، وإذا سُـئِلوا مَن نـزّل القطر؟ قالوا: اللـه، ثمّ هُم يُشـركون، وروى جـابر عن عكرمة وعـامر، في قولـه تعـالى: وَمَـا يُـؤْمِنُ أَكْثَـرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ قـالا: يؤمنـون باللـه أنّـه ربّهم وهـو خـالقهم ويشـركون مَن دونـه، وهـذا قـول أكـثر المفسّـــــــــــــــــرين.

وروى بن جبير عن الضحّاك عن ابن عباس قال: نـزلت هذه الآية في تلبية مشركي العرب وكـانوا يقولـون في تلبيتهم: لبيّك لا شريك لك إلاّ شريك هو لك، تملكه وما ملك، وكان فيها يخزونك من تلبي: فـأجب يـا اللـه لـولا أن بكراً دونـك بـني غطفـان وهم يلونـك، يـنزل النـاس ويخزونـك، مـا زال منـا غنجـاً يأتونـك، وكـانت تلبيـة حرمهم: خرجنا عبـادك النـاس طـرف وهم تلادك، وهم قديماً عمّروا بلادك، وقد تعادوا فيك من يعادك، وكـانت تلبية قريش: (اللهمّ لبيّك، لا شـريك لـك إلاّ شـريكاً هـو لـك تملكـه ومـا ملـك)، وكـانت تلبيـة حمـدان وغسـان وقضاعة وجذام وتلقين وبهرا: نحن عبـادك اليمـاني إنّـا نحجّ ثاني [على الطريق الناجي نحن نعادي] جئنـا إليـك حـادي. فـأنزل اللـه وَمَـا يُـؤْمِنُ أَكْثَـرُهُمْ بِ اللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ يعني في التلبية.

وقـال: لمّـا سـمع المشـركون مـا قبـل هـذه الآيـة من الآيات قالوا: فإنّا نؤمن باللـه الـذي خلـق هـذه الأشـياء ولكنّا نزعم أنّ له شريكاً، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

عطاء: هذا في الدعاء وذلك أنّ الكفّار أشـركوا بـربّهم في الرخاء، فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في الـدعاء، بيانـه قولـه تعـــالى: **وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيـــطَ بِهِمْ دَعَـــوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** [يونس: 22]

وقوله تعالى: **وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** [لقمان: 32] وقوله:

وَإِذَا مَسَّ ٱلإِنسَانَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ [يـونس: 12] وقولـــه: **وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ** [فصلت: 51].

وقال بعض أهل المعاني: معناه وما يؤمن أكثرهم باللهِ إلاّ وهم مشركون قبل إيمانهم، نظيره قوله تعالى:

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشاً [ق: 36] يعـني كـانوا هم أشـدّ منهم بطشـاً. وقـال وهب: هـذه في وقعـة الـدُخَان وذلـك أنّ أهـل مكّـة لمّـا غشـيهم الدخان في سنيّ القحط قالوا: ربّنا اكشف عنّا العذاب إنّـا مؤمنون، وذلك إيمانهم وشـكرهم عـودهم إلى الكفـر بعـد كشف العذاب بيانه قوله:

إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ والعود لا يكون، إلاّ بعد ابتداء واللــه أعلم أَفَأَمِنُوۤاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ قال ابن عباس: مُجللة، مجاهد: عذاب يغشاهم، نظيره قوله:

يَــوْمَ يَغْشَــاهُمُ ٱلْعَـذَابُ مِن فَـوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ [العنكبوت: 55]: قتادة: وقيعـة، الضـحّاك: يعـني الصـواعق والقـوارع أَوْ تَـأْتِيَهُمُ ٱلسَّـاعَةُ القيامـة بَغْتَـةً فجـأة، وَهُمْ لاَ يَشْـعُرُونَ بقيامهـا، ابن عبـاس: تصـيح الصيحة بالناس وهم في أسواقهم.

قُـلْ لهُم يـا محمّـد هَـٰذِهِ الـدعوة الـتي أدعـو إليهـا والطريقة التي أنا عليها سَبِيلِي سُـنّتي ومنهـاجي، قالـه ابن زيد، وقال الربيع: دعوتي، الضحّاك: دعائي، مقاتل:

ديـني، نظـيره قولـه تعـالى: **ٱدْعُ إِلَىٰ سَـبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ** [النحـل: 125] أي دينـه، أَدْعُـو إِلَىٰ ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِـيرَةٍ على يقين، يقـال: فلان مستبصـر في كـذا أي مسـتيقن أَنَـاْ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي آمن بي وصدّقني فهو أيضـاً يـدعو إلى اللـه، هـذا قـول الكلبي، وابن زيـد قـال: أحـقّ واللـه على من اتّبعـه أن يـدعو إليّ بمـا دعـا إليـه، ويـذكر بـالقرآن والموعظـة، وينهى عن معاصي الله.

وقيل: معناه أنا ومن اتّبعـني على بصـيرة، يقـول: كمـا أنّي على بصيرة، فكذلك من آمن بي واتّبعني فهو على بصـيرة أيضـاً، قـال ابن عبـاس: يعـني أصـحاب محمّـد صلى الله عليه وسلم كانوا على أحسن طريقة وأقصـد هدايـة، معـدن العلم، وكـنز الإيمـان وجنـد الـرحمن. وَسُـبْحَانَ ٱللَّهِ أي وقـل: سـبحان اللـه تنزيهـاً لـه عمّـا أشركوا وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ : يا محمّـد إِلاَّ رِجَـالاً لا ملائكـة، نُّوحِيۤ إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْـلِ ٱلْقُرَىٰ يعني من أهل الأمصـار دون أهـل البـوادي لأنّ أهل الأمصار أعقل وأفضل وأعلم وأحلم.

أَفَلَمْ يَسِيرُواْ يعني هـؤلاء المشـركين المنكـرين لنبوّتـك فِي ٱلأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَـةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أخـبر بـأمر الأمم المكذّبـة من قبلهم، فيعتـبروا وَلَـدَارُ ٱلآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَواْ يقـول جـلّ ثنـاؤه: هـذا فعلنـا في الدنيا بأهـل ولايتنـا وطاعتنـا أن نُنْجيهم عنـد نـزول

العذاب، وما في دار الآخرة لهم خيرٌ، فترك ما ذكرنا، آنفاً لدلالة الكلام عليه، وأُضيف الدار إلى الآخرة ولا خلاف لتعظيمها كقوله تعالى:

إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ [الواقعة: 95] وقولهم: عامٌ الأوّل، وبارحة الأولى ويوم الخميس وربيع الآخر: وقال الشاعر:

ولو أقوتُ عليك ديارعبس ... عرفت الذلّ عرفان اليقين

يعني عرفاناً.

أَفَلاَ تَعْقِلُونَ يؤمنون حَتَّىٰ إِذَا ٱسْتَيْأَسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوۤاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا اختلف القُرّاء في قوله: كُذِبُواْ فقرأها قوم بالتخفيف وهي قراءة علي بن أبي طالب (عليه السلام) وابن عباس وابن مسعود وأُبي بن كعب وأبي عبدالرحمن السلمي وعكرمة الضحاك وعلقمة ومسروق والنخعي وأبي جعفر المدني ومحمّد بن كعب والأعمش وعيسى بن عمر الهمداني وأبي اسحاق السبيعي وابن أبي ليلى وعاصم وحمزة وعلي بن الحسين وابنه محمّد بن علي وابنه جعفر بن محمّد، وعبدالله بن مسلم وابن يسار، واختارها الكسائي وأبي عبيدة.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قرأ وَظَنُّوۤاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ مخفّفة وهي قراءة عائشة و [هرقل] الأعرج ونافع والزهري وعطاء بن أبي رياح وعبدالله بن كثير وعبدالله بن الحارث وأبي رجاء والحسن.

وقتادة وأبي عمرو وعيسى وسلام وعمرو بن ميمون ويعقوب، ورويتْ أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن قرأ بالتخفيف، فمعناه: حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم وظنّ قومهم أنّ الرسل قد كذبتهم في

وجـــــــــــــــــــــــــود العـــــــــــــــــــــــــذاب.
وروى الخـبر عن شـعيب بن الحجـاج عن إبـراهيم عن أبي حمـزة الجـزري: قـال صـنعت طعامـاً فـدعوتُ ناسـاً من أصحابنا منهم: سـعيد بن جبـير وأرسـلتُ إلى الضـحّاك بن مزاحم فأبى أن يجيئني فأتيته فلم أدعـه حـتى جـاء، قـال: فسأل فتىً من قريش سعيد بن جبير فقال: يا أبا عبداللـه كيف تقـرأ هـذا الحـرف فـإنّي إذا أتيت عليـه تمنّيت إنّي لا أقرأ هذه السورة: حَتَّىٰ إِذَا ٱسْتَيْأَسَ ٱلرُّسُـلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا قال: نعم حتى إذا اسـتيأس الرسـل من قـومهم أن يصـدّقوهم، وظنّ المُرسـل إليهم أنّ الرُسـل كـذّبوهم. قال: فقال الضحّاك: ما رأيتُ كاليوم قـط رجلا يـدعى إلى علم فيتلكّأ، لو رحلت في هذه إلى اليمن لكان قليلا.
وقـال بعضـهم: معـنى الآيـة على هـذه القـراءة حـتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم وظنَّت الرُسُل أنّهم قـد كُذِبوا فيما وجدوا من النُصرة. وهذه روايـة ابن أبي مليكـة عن ابن عباس قال: كـانوا دعـوا فضـعفوا ويئسـوا وظنـوا أنّهم أخلفوا ثمّ قوله تعالى:
حَتَّىٰ يَقُـولَ ٱلرَّسُـولُ وَٱلَّذِينَ آمَنُـواْ مَعَـهُ مَتَىٰ نَصْـرُ ٱللَّهِ [البقـرة: 214] الآيـة، ومن قـرأ بالتشـديد فمعناها، حتى إذا اسـتيأس الرسـل من قـومهم أن يؤمنـوا بهم وظنّت الرُسُـل أي اسـتيقنت أنّ أممهم قـد كـذبوهم جاءهم نصرُنا، وعلى هذا التأويل يكون الظنّ بمعـنى العلم واليقين كقول الشاعر:

فقلت لهم ظنــوا بألفي متلبب — **ســـــــراتهم في الفارسيّ المسُردِ**

أي أيقّنوا.

وهذا معنى قول قتادة، وقال بعضهم: معنى الآية على هذه القراءة حتى إذا استيأس الرُسُل ممّن كـذّبهم من قـومهم أن يصـــدّقونهم، وظنّت الرســـل أنّ من قـــد آمن بهم وصـدّقوهم قـد كـذّبوهم فارتـدوا عن دينهم لاسـتبطائهم النصر جَآءَهُمْ نَصْرُنَا وهذا معنى قول عائشة.

وقـرأ مجاهـد كُـذِبُوا بفتح الكـاف والـذال مخفّفـة ولهـا تـأويلان: أحـدهما: حـتى إذا اسـتيأس الرسـل أن يُعـذَب قومهم، وظنّ قـومهم أنّ الرُسُـل قـد كـذبوا جـاء الرُسـل نصرنا، والثاني: حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم وظنّت الرسـل أنّ قـومهم قـد كـذبوا على اللـه بكفـرهم، ويكون معنى الظنّ اليقين على هذا التأويل، والله أعلم.

فَنُجِّيَ مَن نَّشَـآءُ عِنـد نـزول العـذاب وهم المطيعـون والمؤمنون وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عذابنا عَنِ ٱلْقَـوْمِ ٱلْمُجْـرِمِينَ يعني المشركين، واختلف القـرّاء في قولـه فنُجّي فقرأهـا عامّـة القـراء فننجّي بنـونين على معـنى فنحن نفعـل بهم ذلك، فأدغم الكسائي أحد النونين في الأُخرى فقرأ: فنجّي بنـون واحـدة وتشـديد الجيم، وقـرأ عاصـم بضـمّ النـون وتشديد الجيم وفتح الياء على مذهب مـا لم يُسـمَّ فاعلـه، واختار أبو عبيـد هـذه القـراءة لأنّهـا في مصـحف عثمـان، وسائر مصـاحف البلـدان بنـون واحـدة وقـرأ ابن مُحيصـن فنجا من نشاء بفتح النون والتخفيف على أنّـه فعـل مـاض ويكون محلّه على قراءة عاصم وابن محيصـن رفعـاً،وعلى قراءة الباقين نصباً.

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ أي في خبر يوسف وأخوته عِبْـرَةٌ عِظة لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ يعني القـرآن حَـدِيثاً يُفْتَـرَىٰ يُختلق وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ يعني ولكن كان تصديق الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ أي ما قبله من الكتب وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ممّا يحتاج إليه العباد وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .

ابو اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي

الثعلبي أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المفسر المشهور كان أوحد زمانه في علم التفسير وصنف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وغير ذلك ذكره السمعاني وقال يقال له الثعلبي والثعالبي وهو لقب له وليس بنسب قاله بعض العلماء وقال أبو القاسم القشيري رأيت رب العزة عز وجل في المنام وهو يخاطبني وأخاطبه فكان في أثناء ذلك أن قال الرب تعالى اسمه أقبل الرجل الصالح فالتفت فإذا أحمد الثعالبي مُقبل وذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في كتاب سياق تاريخ نيسابور وأثنى عليه وقال هو صحيح النقل موثوق به حدث عن أبي طاهر ابن خزيمة والإمام أبي بكر ابن مهران المقرئ وكان كثير الحديث كثير الشيوخ توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة وقال غيره توفي في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة وقال غيره توفي يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة تعالى والثعلبي بفتح الثاء المثلثة وسكون العين المهملة وبعد اللام المفتوحة باء موحدة والنيسابوري بفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وبعد الألف باء موحدة مضمومة وبعد الواو الساكنة راء هذه النسبة إلى نيسابور وهي من أحسن مدن خراسان وأعظمها وأجمعها للخيرات وإنما قيل لها نيسابور لأن سابور ذا الأكتاف أحد ملوك الفرس المتأخرة لما وصل إلى مكانها أعجبه وكان مقصبة فقال يصلح أن يكون ههنا مدينة وأمر بقطع القصَب وبنى المدينة فقيل له نيسابور والنى القصب بالعجمي هكذا قاله السمعاني في كتاب الأنساب

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D8%A5%D8%B3%D8%AD%D8%A7%D9%82_%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%B9%D9%84%D8%A8%D9%8A